

روايات مصرية الجيب

الرحلة

وقصص أخرى

كوكب
تيل
يوم

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

37

Looloo

www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
الطبع والنشر والتوزيع
HAJIRI - SARAFI - AL-KHAYAT
القاهرة - مصر



(قصة قصيرة)

المحتلون ..

« العاصمة سقطت .. » ..

نطق ذلك الجالس على المقهى الصغير ، فى قلب (القاهرة)
العبارة ، بكل أسى وإحباط الدنيا ، وهو يتابع فى انبهار ، امتزج
بالكثير من المرارة والحسرة ، تلك المشاهد الرهيبة ، التى تنقل
وقائع استيلاء المحتلين ، على عاصمة دولة عربية عريقة ، كانت
يوماً ما قبلة الشرق ، ومنازة العلم والفن ..

وعلى الرغم من أنه يتابع الأحداث نفسها ، فى المقهى ذاته ،
إلا أن عبارة الرجل ولدت فى أعماقه ألماً مزعجاً ، لم يشعر بمثله
أبداً ، حتى عندما احتلت (إسرائيل) صحراء (سيناء) بأكملها ،
فى عام ١٩٦٧م ..

- مع بدء العد التنازلى ، نحو القرن الحادى
والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب
إلى المعرفة ..
- إلى الحضارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. تبديل فاروق

« هذا إيذان بسقوط العرب جميعاً .. » ..

عبارة أخرى ، نطقها زبون آخر ، من زبائن المقهى ، وأصابت قلبه هو فى الصميم ، وكأنها طعنة حادة ، من خنجر مسموم ..

أى قول هذا بالضبط !؟

ما الذى يتصوره القائل !؟

هل يفترض أن سقوط عاصمة عربية ، قد يعنى سقوط كيان عربى بأكمله !؟

مستحيل !

مستحيل ، وألف مستحيل !

صحيح أن أولئك المحتلين يتفوقون ، فى أسلحتهم وتكنولوجياهم ، ولكن الأحداث أثبتت أنهم لا يتفوقون برجالهم أو مبادئهم ..

والتاريخ علمنا أن القوة وحدها لا تكفى ..

التتار والمغول امتلكوا القوة ..

الإمبراطورية الرومانية كانت لها جيوش لا تقهر ..

الفرس سيطروا يوماً على نصف العالم ..

(نابليون بوناپرت) بهر (مصر) يوماً بمدافعه ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

السوفيت كانوا يوماً إحدى قوتين عظميين ..

ولكن كل هذا اتهار ..

كل هذا سقط ..

وانمحي ..

واندثر ..

حتى نحن ، خسرنا واندحرنا ، عندما تخلىنا عن قيمنا ومبادئنا ..

خسرنا (الأندلس) ، والحضارة ..

والقوة ..

« مادامت تلك العاصمة قد سقطت ، فلن تقوم لنا قائمة بعد الآن .. »
خنقته العبارة ، التى ألقاها زبون ثالث ، فى يأس غاضب ، فهب من مقعده ، ودفع حساب مشروباته فى توتر ..

وغادر المقهى كله ..

وبكل مرارة الدنيا ، راح يقطع شوارع (القاهرة) ، فى طريقه إلى الكورنيش ..

كورنيش النيل ..

ومع الأمطار التى قطعها ، بدا له وكأن (القاهرة) ، بل (مصر) كلها ، قد تحولت إلى مقهى واحد كبير ..

الكل يتابع سقوط تلك العاصمة العربية ..

الكل يتحدث عن خيانة ما ، أو صفقة ما ..

والجميع يعانون المشاعر نفسها ..

الغضب ، والثورة ، والمرارة ، واليأس ، والحسرة ، والإحباط ،

وروح الانهزام ، فى أعماق الأعماق ..

وهو واحد من الجميع ..

وفى أعماقه تشتعل كل تلك المشاعر المؤلمة ..

وفى تلك اللحظات ، وهو يعبر آخر طريق يفصله عن الكورنيش ،

شعر وكأنه فجأة لم يعد يحتمل كل ما حوله ..

لم يعد يحتمل الزحام ، والفوضى ، وأبواق السيارات ، والسباب

المنفلت من بين شفاة عديدة ، لا تجد ما تعبر عما تجيش به

صدورها ، سوى هذا ..

وبكل توتره وانفعاله ، جرى عبر الشارع ، وسط أفواج

السيارات ، التى لا تتوقف أبداً ..

وطاردته صيحات غاضبة ، وسبابات عصبية ، وصرخات منفلتة ..

ولكنه لم يبال ..

كان كل هدفه أن يبلغ النيل ..

وبأى ثمن ..

وما إن أمسكت أصابعه سور الكورنيش ، حتى التقط نفساً عميقاً ، وكأنما يحاول أن يؤكد لنفسه أنه قد وصل إلى هدفه ..

إلى النيل ..

كان يتمنى لو أن هذا النفس العميق قد حمل رائحة النيل ، والطبيعة ، والعزة ، والكرامة ، والتاريخ ..

ولكن الرائحة كانت تختلف للأسف ..

كانت تحمل الإهمال ، والفساد ، والفوضى ..

حتى النيل لم يسلم من استهتارنا بتاريخنا وثرواتنا .

حتى النيل ..

« ترى من التالى؟! » ..

سؤال ألقاه بائع حمص الشام ، على أحد زبائنه ، لمجرد أنه زبون أنيق الملبس ، توحى ملامحه بالثقافة ، وبمعرفة كل الأجوبة ..

وبلغ السؤال مسامعه هو ..

وتسلل إلى أعماقه ..

إلى عقله ..

إلى وجدانه كله ..

وقبل أن يعثر على جواب شاف ، كان الزبون الأنيق يجيب في ثقة ، أن التالي هو الدولة العربية المجاورة ، وبعدها كل الدول العربية ، على نحو أو آخر ..

وعاد الغضب يتصاعد في أعماقه ، وهو يتعد بسرعة عن المكان كله ، حتى لا يسمع تعليق بائع حمص الشام ، أو باقى الزبائن .. ربما كانوا على حق في تصوراتهم ..

ولكنه لا يريد أن يسمع ..

يريد فقط أن يتشبَّث بسور الكورنيش ، وكأنه يتشبَّث بالنيل نفسه ، معلناً أنه لن يتخلى عنه أبداً ، حتى لو دارت الدائرة ، وجاء المحتلون من أجله ..

لو حدث هذا سيقاتلهم ، حتى آخر نفس ..

حتى آخر قطرة دم في جسده ..

وآخر قطرة ماء في نهر النيل ..

وفي أعماقه ، تضاعف شعور الغضب أكثر وأكثر ..

كم يكره المحتلين !!

كم يكره كل من يسعى لتدمير عروبتة ، ووطنه ، وعقيدته !!

وكم يكره أكثر وأكثر روح اليأس ، التى ملأت كل القلوب والأفئدة ، مع سقوط تلك العاصمة العربية العريقة ..

ولكن الأخبار نفسها تقول : إن الدولة كلها لم تسقط بعد ..

ما زالت هناك مقاومة ..

وهو يدرك جيداً أن تلك المقاومة لن تنتهى أبداً ..

ستبقى ما بقى المحتل ..

التاريخ علمنا هذا ..

علمنا أن صلابة الشعوب ومقاومتها تتضاعف ، كلما بقى المحتل أكثر ..

وأن المقاومة للمحتلين لا تموت أبداً ..

سلوا شعب (فلسطين) ، وسيثبت لكم أن هذا صحيح ..

المهم أن تظل الهزيمة خارج أجسادنا ..

المهم أن يحتلنا العدو ، ولكنه يعجز عن احتلال إرادتنا ، وعقيدتنا ، وروح المقاومة والقتال فى أعماقنا ..

نعم .. هذا هو الاحتلال ، الذى لا ينبغى أن نسمح له بالانتصار علينا أبداً ..

وفى تلك اللحظة ، ومع هذه الفكرة ، التى تسلَّت من عقله ، إلى كيانه كله ، وجد هامته ترتفع ، وشعر بالحماسة والفورة يسريان فى عروقه ، فشدَّ قامته ، وتطلَّع إلى النيل أمامه بنظرة جديدة ..

لا .. لن تنهزم إرادته أبداً ..

سيقاتل ..

سيقاتل روح اليأس والهزيمة والإحباط ..

سيقاوم الفساد والاستهتار والفوضى من حوله ..

سيقاوم كل سمة سيئة تحتل مشاعره ، وتفسد طريق تقدمه ..

بهذا فقط ، يمكنه أن يتصدى للمحتلين ..

كل المحتلين ..

ولم تكذ تلك العقيدة تستقر في أعماقه ، حتى عاد النيل يبدو
جميلاً شامخاً ، وكأنما يحمل معه عبق التاريخ ..

وأمل المستقبل ..

كله .

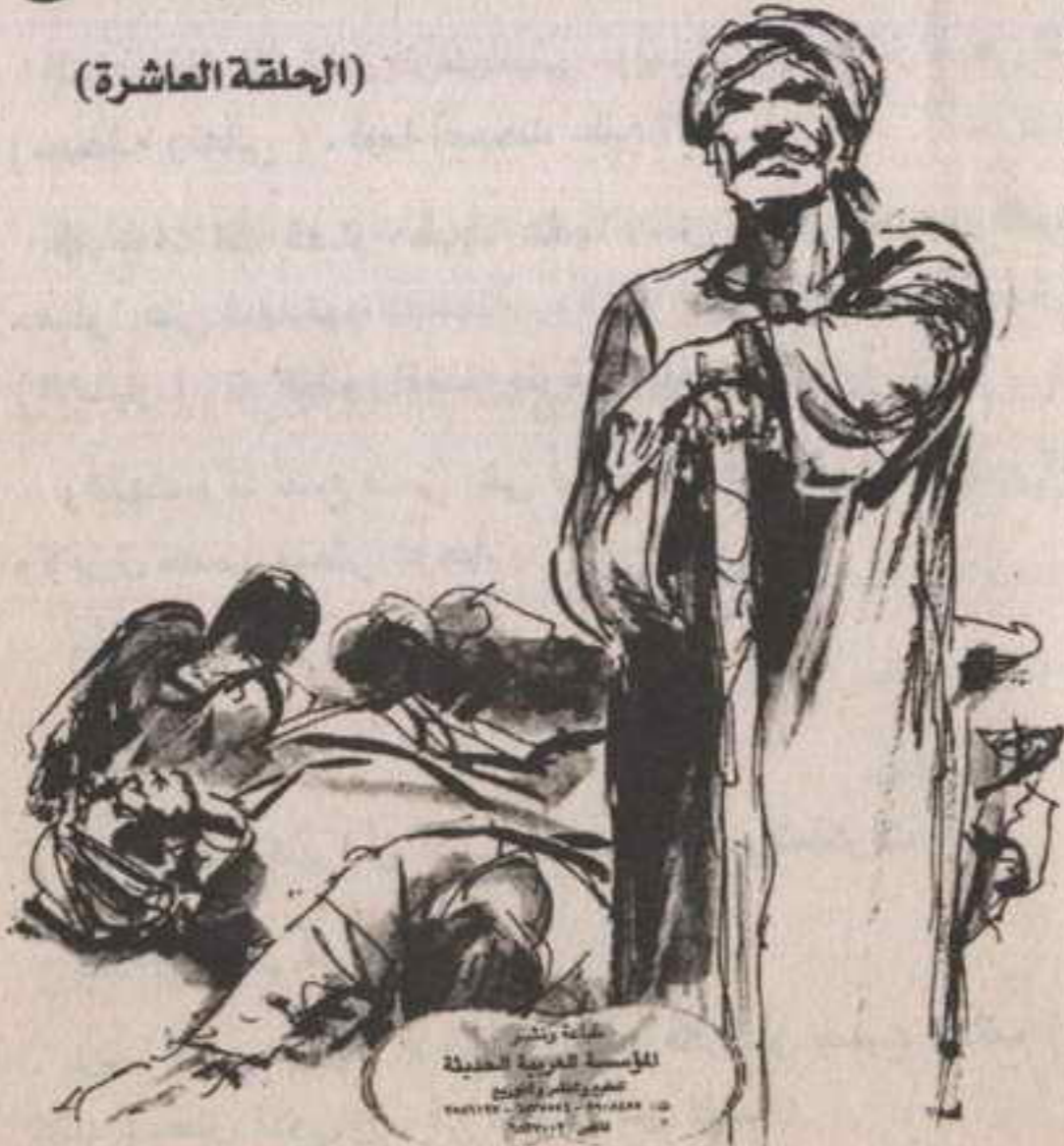
روايات مصرية للحيث

كوكبيل
٢٠٠٠

مذكرات طبيب

في صعيد مصر الجوانى

(الحلقة العاشرة)



مكتبة
للإسسية العربية الحديثة
التوزيع والنشر
KAWTAR - CAIRO - EGYPT
١٩٧٧

مقدمة

هذه الخواطر هي سيرة ذاتية ..

وعمل أدبي ..

جزء من هذا ، وشيء من ذلك ..

إنها ذكريات لفترة من فترات حياتي ، ربما كان لها الفضل ، بعد الله
(سبحانه وتعالى) ، فيما أصبحت عليه الآن ..

فقد بدأت تلك الفترة طبيياً عادياً ، من منات الأطباء ، الذين
حصلوا على شهادتهم الجامعية ، وأنهوا فترة التدريب الإيجباري
(الامتياز) ، ثم انتقلوا لقضاء فترة التكليف الإيجبارية ..

وانتهت وأنا أضع قدمي على أول سلمة في مشوار طويل ، كان
ولا يزال مصدر متعنى الوحيد ..

الأدب .. والقلم ..

والأوراق ..

ولقد تمنيت كثيراً أن أكتب هذه الذكريات والمذكرات ..

وترددت أكثر في كتابتها ..

ربما لأنني خشيت ألا يتقبل القارئ فكرة أن يضيع الكاتب (أي

كاتب) بعض الأوراق ، في الحديث عن نفسه ..

أو لأنه ليس من السهل أن يكتب المرء عن نفسه ..

وحياته ..

وذكرياته ..

ولكن شيئاً ما ، لست أدرى كنهه بالضبط ، جعلني أحسم ترددي
هذا .

شيء ما ، جعلني أعجز عن مقاومة رغبتى فى كتابة هذه
المذكرات ..

ربما لأنها أحداث مرت عليها ثمان عشرة سنة أو أكثر ، وخشيت
أن تذوب فى بحر الذاكرة ، فتفقدنى وأفقدنا ..

أو ربما لأن المرء يحتاج أحياناً إلى التحدث عن ذكرياته ..
ربما .

المهم أن هذه الأوراق بين يديكم الآن ..

اعتبروها مجرد عمل أدبي ..

وهذا سيكفينى ..

تماماً ..

١٠ - نقطة التحول ..

فجأة ، وبدون مقدمات ، وجدت نفسى أشعر بالتعب والإرهاق ، وأعانى التوتر والشعور بالغربة ، وذلك المرض ، الذى لم أجد له علاجاً قط ، على الرغم من أسفارى المتعددة ، والمعروف باسم (الحنين إلى الوطن) ..

والوطن هنا كان بلاد بحرى بالطبع ..

لم يكن هناك أى شىء قد تغير أو تبدل ، فالأمور ، والأحداث ، والتقاليد ، والعادات ، وحتى المناظر والمشاهد ، لا تتغير أبداً (والعياذ بالله) ، فى تلك المنتجعات الصعيدية الجبلية الفاخرة ..

الوجوه هى الوجوه ، والأحداث يشبه بعضها البعض ، وما تراه اليوم لن يختلف كثيراً عما رأيته أمس ، وعما ستراه فى الغد ..

وبعد الغد أيضاً ..

وما دام كل شىء على حاله ، وكل شخص فى مكانه ، وكل جاموسة فى غيظها ، وكل حمار فى زريته ، وكل شىء تمام يافندم ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان ، فهذا يعنى أن التغيير قد أصاب شيئاً واحداً ..

أنا ..

أنا تغيرت حتماً ، ولم أعد أحتمل مواصلة هذا النوع من الحياة ،

الذى يختلف كثيراً عما ألفته أو أطمح إليه ، خاصة وأننى ، وخلال العام الأخير بالتحديد ، كنت قد اعتدت الذهاب إلى مدينة (قنا) ، مرة كل أسبوعين ، وأنا أحمل حقيبة فارغة ، سرعان ما تمتلئ بعشرات الكتب ، التى أشتريها من (دار المعارف) هناك ، لأعود بها إلى (أبو دياب شرق) ، حيث أغرق فى القراءة بكل النهم ، ملتهماً كل هذه الكتب ، فى شراهة لم أعهد لها فى نفسى من قبل ، حتى تنتهى الكتب ، ويمضى الوقت ، فأعود مرة أخرى إلى دار معارف قنا ..

وهكذا ..

أيامها ، قرأت كل مؤلفات (نجيب محفوظ) ، و(يوسف إدريس) ، و(يوسف السباعي) ، و(توفيق الحكيم) ، و(إحسان عبد القدوس) ، و(عبد الحميد جودة السحار) و(مصطفى محمود) ، والدكتور (عبد المحسن صالح) ، و(ديستوفسكى) ، و(مكسيم جوركى) وغيرهم ، بالإضافة إلى عدد مذهش من الكتب التى تحكى تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ونشأة الصهيونية ودولة (إسرائيل) ، ومذكرات القادة ، ورجال السياسة والعسكرية ..

وفى كل إجازة ، كانت الكتب التى أعود بها إلى (طنطا) تثير دهشة الجميع ، وأصبح من المعتاد أن أسمع سؤالاً واحداً ، بلهجة تجمع بين الدهشة ، والاستنكار ، وعدم التصديق :

- هل قرأت كل هذا !؟

ولم يكن أحدهم يتصور ، أو حتى يتخيل ، مقدار ما يمكن أن يلتهمه دودة كتب مثلى ، فى مكان منعزل ، ليس فيه راديو أو تليفزيون ، أو شخص يمكننى الاستمتاع بالتحدث إليه أو محاورته ، اللهم إلا إذا تحاورنا حول المتغيرات السياسية فى نجع الهوارة ، أو مشروع تعويم عملة (أبو دياب) ، فى أحد فروع النيل القريبة ..

وعلى كل حال ، لم أحاول أبداً شرح الأسباب والمبررات ، التى جعلتنى أقرأ كل هذا الكم ، الذى كان يحتل حقيبتين كبيرتين ، أعود بهما إلى بلدتى كل شهرين ، وإنما منحت كل من سألتنى جواباً مستفيضاً ، واضحاً ، مقنعاً ، كافياً ، وأنا أجيب فى حزم :

- أيوه .

ومن الواضح أن هذا كان يشرح الموقف كله ؛ لأن أحداً لم يسألنى بعدها عما يمكن أن يعنيه هذا ..

ولأن أحداً لم يكن يعنيه هذا بالفعل ..

أما أنا ، فكان هذا يعينى ..

وبشدة ..

القراءة المتواصلة بدأت تحفر فى أعماق قنوت عديدة ، لا تجد مصباً لها ، فى أرض الصعيد ، وبالذات فى حوض الجبل .. وكان من الضروري أن أجد مصبات لقنوت أفكارى ..

ولسبب ما ، مازلت أجهله حتى هذه اللحظة ، أو ربما لأن القدر كان يدخر لى مستقبلاً مختلفاً ، بدا لى أننى لن أجد هذه القنوت إلا فى بلدتى الأم ، ومسقط رأسى (طنطا) ..

وفى كل يوم يمضى ، كانت الفكرة تتعمق فى رأسى أكثر وأكثر ، وتختمر على نحو واضح ، حتى إنك لو وضعت رأسى فى الفرن - أيامها - لخرجت أشبه بالرغيف البلدى القديم (الذى لم يره أحدكم حتماً ، إلا فى كتب التاريخ بالطبع) من كثرة ما به من خميرة الأفكار ..

ولكن ما حسم الأمر بالفعل ، وما وضع لمسة النهاية ، وجعلنى أتخذ القرار النهائى ، فى حتمية ترك الصعيد ، الذى قضيت فى حوض جباله ثمانية عشر شهراً ، هو موقعة حربية صعيدية ، أطلقت عليها أيامها اسم (موقعة للدرباس) .. نعم .. (الدرباس) .. إنك لم تخطئ قراءة الاسم ..

ولكن مهلاً ، حذار أن تفعل مثلى ، وأن تترك فكك السفلى يتدلى فى بلاهة ، وأنت تتساعل بنفس العبط ، الذى تساعلت أنا به :

- إيه (الدرباس) ده !؟

فذات يوم ، وبينما أنهى عملى فى الوحدة الصحية ، فوجئت بعدد ضخم من الجرحى والمصابين ، يرد إلى المكان ، والدماء تسيل من الرءوس والأكتاف ، والأذرع والسيقان ، كما لو أن قنبلة عنقودية قد انفجرت ، وسط حشد من البشر هناك ..

وبمنتهى الجزع (العبيط أيضاً) ، هتفت :

- ماذا حدث !؟

أجابني أحد المصاحبين لجيش الجرحى هذا :

- إنها معركة حول (درباس) .

نطقها باعتبار أن (درباس) هذا شيء شائع ومعروف ، حتى إننى شعرت بأنه من العار أن أسأل عن ماهية هذا الشيء الفتاك ، الذى اتجلت المعركة حوله عن جيش من الجرحى والمصابين ، مع احتمال وجود قتلى حتماً ، مما يؤكد أن هذا (درباس) هو فى حقيقته أحد أسلحة الدمار الشامل ، التى من حسن الحظ أن (أمريكا) لم تسمع عنها ، وإلا لجاءت بجيوشها ، واحتلت الصعيد كله أيامها ..

المهم أننى لاحظتها ألقىت التساؤل حول (درباس) الرهيب هذا خلف ظهري ، وأنا أشمر أكمامي ، وألتقط خيوط الجراحة ، وأبدأ عملي ..

لست أذكر بالتحديد كم غرزة جراحية قمت بها ، فى ذلك اليوم ، ولكنها بدت لى لحظتها أكثر من ألف واحدة ، ثمانون فى المائة منها تمت بعد نفاذ البنج الجراحى تماماً ، دون أن تبدو لمحة واحدة من الألم ، على وجوه الجرحى ، حتى تصورت لبعض الوقت أننى أخيط بعض الرتوق فى سجاد قديم ، وليس بعض الجروح ، فى رعوس وأجساد حية ..

واستغرق ترميم أثر موقعة (درباس) الرهيبة هذه أكثر من ثلاث ساعات كاملة ، ولم يعد بالوحدة الصحية أدنى أثر للقطن أو الشاش ، أو حقنة مصل تيتانوس واحدة (هذا لو أن التيتانوس يجرؤ على إصابة الإخوة الصعايدة هناك) ..

وغادر آخر مصاب الوحدة الصحية ، بعد أن تصورت أننى سألفظ أنفاسى الأخيرة هناك ، وأصبح أول طبيب يحمل لقب (شهيد درباس) .. وبابتسامة ننبية بريئة ، جاء كاتب الوحدة الصحية (حجاج) يقول :

- يوم مرهق .. أليس كذلك !؟

كان يحمل فى يده دفتر الوفيات ، فبدأ لى وكأته ينتظر سقوطى ، ليُدوّن اسمى فيه ، إلا أنه قال فى هدوء ، كعادته كلما استعد للقيام بعملية نصب منقنة :

- لدى شهادتا وفاة ، تحتاجان إلى توقيعك .

سألته فى حذر :

- أهما قتيلان من موقعة (درباس) !؟

فوجنت به يقهقه ضاحكاً ، وكأنما سمع نكتة جديدة منقنة ، قبل أن يقول ، وكأنه يتحدث إلى تلميذ فى (KG 1) ، فى مدرسة الصعيد للمعتوهين :

- معارك (درباس) تحدث كل يوم ، ولم يسقط فيها قتيلا واحد ، منذ نشأ الصعيد .

وهنا وجدتُها فرصة نادرة ؛ لأسأله في لهفة :

- إيه (الدرباس) ده ؟!

وهنا ، فاجئني (حجاج) بأن (الدرباس) ليس أحد أسلحة الدمار الشامل ، أو حتى غير الشامل ، بل هو مجرد حاجز من التراب ..

نعم يا صديقي المندهِش ..

(الدرباس) الخطير هذا ، والذي نشبت حوله تلك المعركة الطاحنة ، مجرد حاجز من التراب ، لا يزيد ارتفاعه على عشرة سنتيمترات ، يفصل كل قطعة أرض عن الأخرى ، في الرقعة الزراعية للبلدة كلها ..

ومعركة ذلك اليوم نشأت من أن أحدهم قد داس ذلك (الدرباس) المقدس بقدمه ، فصنع فيه فتحة بعرض القدم ، أى لا تزيد أيضا على عشرة سنتيمترات (بمقاييس أقدامنا) ، أو متر وربع المتر (بمقاييس أقدامهم) ..

ودون مناقشة ، أو عتاب ، أو حتى شجار ، رفع صاحب (الدرباس) المنتهك شومته الصعيدية ، التى تزدان مقدماتها بقطع من الحديد ، وهوى بها على رأس المعتدى الآثم ..

ولأن القاعدة فى الصعيد الجوانى هى أن من يرشهم بالماء يرشونه بالشومة ؛ حتى يتفجر منه الدم ، فقد اندفع شقيق المصاب ، وهوى على رأس صاحب (الدرباس) بشومته ..

وهنا ، أسرع ابن صاحب (الدرباس) ، وهوى بشومته على رأس شقيق المعتدى ..

وهكذا ..

شومة من هنا ، وشومة من هناك ، وتفجرت الدماء فى كل مكان ..

وحدثت الموقعة ..

موقعة (الدرباس) ..

كل هذا ، بدلا من أن يعيد أحدهم التراب إلى مكانه ، وينتهى الأمر فى ثوان معدودة ..

ولكن من يهتم ..

الشومة دائما أسرع من اللسان ..

وأكثر حسما أيضا ..

وفى تلك الليلة ، وعلى الرغم من كل ما أشعر به من تعب وإرهاق ، لم يغمض لى جفن أبدا ..

كان ذهنى يدرس ذلك الفارق الجوهرى الأساسى ، بين العقل والشومة .. وليلتها ، ربط ذهنى بين كلمة (درباس) ، وكلمة (ترباس) ، ولن أخبركم لماذا (افهموها أنتم) ..

وفى الصباح الباكر ، انطلقت إلى مديرية الشئون الصحية فى (قنا) ، وقدمت طلب نقل إلى ريف (الغربية) ..

وفور عودتى إلى الوحدة الصحية ، فى (أبو دياب شرق) ،
بدأت أستعد للعودة إلى بلدتى (طنطا) ..

جمعت كل الكتب فى حقيبتين ، وكل الملابس ، إلا ما يكفى لفترة
الانتظار ، ما بين تقديم طلب النقل ، و صدور القرار ..

وعلى الرغم من الصداقات التى عقدتها هناك ، بدت لى الأيام
المتبقية أشبه بدهر بلانهاية ، وأصبحت الثوانى تمضى كالدقائق ،
والدقائق تسير كالساعات ، والساعات تبطن كالأيام ..

أما الأيام نفسها ، فبدت أشبه بالسنوات ..

وربما بالسنوات الضوئية أيضاً ..

وحتى تمضى الأيام الصعبة ، قررت أن أقضى معظم وقتى فى
أكثر مكان أشعر فيه بالبهجة ، فى (أبو دياب شرق) ، نظراً
لصعوبة الانتقال اليومى إلى (أبو دياب غرب) ، حيث أصدقائى
الحقيقيين (عبد العليم) ، و (كمال) ، و (أبو الحسن) ، وغيرهم ..

وكان هذا المكان هو مندرة عم (على) ..

وعم (على) هذا رجل بدين ، خفيف الظل ، متفتح العقل إلى
حد مدهش ، ويعشق الحياة إلى درجة لم أر لها مثيلاً ، سواء فى
الصعيد ، أو حتى فى وجه بحرى ..

وعلى الرغم من أن عم (على) كان من كبار الهوارة ، وأكثرهم
سطوة و ثراءً ، فقد تزوج فتاة من العرب ، وأنشأ منزله فى منتصف

المسافة ، بين نجع الهوارة ونجع العرب ، وكأنا يعن بهذا أنه صاحب
فكر وسط بين العقليتين ، كما صمم بيته بأسلوب مدنى ، أكثر منه قروى ..

وكان الوحيد ، فى القرية كلها ، الذى يمتلك سيارة خاصة ،
وكانت هذه حالة فريدة أيامها بالفعل ..

وطوال الوقت لم يكن عم (على) يتحدث إلا عن أمرين ،
لا ثالث لهما ..

الطعام ..

والنساء ..

وكان مغرماً بالأمرين إلى حد مدهش ومضحك ، ويعن هذا
دون انقطاع ، باعتبار أن هذه هى كل متع الحياة ، من وجهة
نظره ..

ومن المصادفات المدهشة ، أن رقم لوحات سيارته الخاصة كان ستة
آلاف وستمائة وستة وستين .. أى أربع ستات ، كما يحلو له أن
ينطقها ..

ولقد استقبلنى عم (على) فى منزله بترحاب واضح ، وحرارة
لا مثيل لها ، واستمع إلى جيداً ، وأنا أخبره عن سبب رغبتى فى
ترك الصعيد كله ، ثم أيد وجهة نظرى ، وأخبرنى أن هذا أمر
طبيعى ، وأن ما يحدث هو نقطة تحول رئيسية فى حياتى كلها ..

ثم أصر على أن أصبح ضيفاً يومياً على مائدته ، خلال الفترة
المتبقية لى ، فى قرية (أبو دياب شرق) ..

وخلال الأيام التالية ، كانت في انتظاري مفاجأة مدهشة ..

فعم (على) ، على الرغم من تعليمه المحدود جدًا ، رجل مفكر وفيلسوف ، إلى أقصى درجة ..

كانت له فلسفته الخاصة ، وآراؤه الحرة المتقدمة ، ونظرياته الثورية ، حول علاقة الهوارة بالعرب ، وحتمية نبذ الخلافات (السامية) بينهما ، وعقم فكرة عدم التزاوج بين أسرها ..

واتبهرت أنا بكل ما أسمعه منه ، وأدركت أن أحاديثه عن النساء والطعام ، كانت لثقته في أن أحداً لن يفهمه ..

فالرجل كان بالفعل يسبق زمنه بعدة أعوام ، وهذا ما جعله يعزل نفسه عن أقرانه من الهوارة ، وحتى عن أصهاره من العرب ، وينشئ منزله في منتصف المسافة بينهما ..

وبدأت أستمع بجلستى مع عم (على) ، وأفرغ معه بعض قنوات فكرى ، وأندم على عدم الاقتراب منه ، طوال عام ونصف العلم ، و...

وفجأة ، وبعد أن بدأت أستقر - لأول مرة - في (أبو ديب شرق) ، وصل قرار النقل ..

وكانت هذه نقطة تحول ، في مسار حياتى العملية ..

بل وفي مسار حياتى كلها .

تابع فى الكتاب القادم

دم واحد ..

(نداء)

يا كل من يسمع ..

ويقرأ ..

ويفهم ..

يا كل من تبع نبياً أمياً ، بلغ علمه الآفاق ..

نبى عبر بين القبلتين ..

على متن البراق ..

يا كل من شغفتم بالنفاس ..

بالتنافس ..

واتشغلتم بالنفاق ..

اسمعونى ..

اقرعوا قلبى ..

افهمونى ..

الوقت حان لتهبوا من الفراق ..
لتنبذوا الخلف ..

والشجار ..

والشقائق ..

استيقظوا ، واسمعوا ..

وشاهدوا ..

وتعلموا الدرس ، من دم حر يراق ..

الدم العربي واحد ..

واعد ..

براق ..

لا تسدوا الأعين أو تغمضوا الآذان ..

فاليوم أشعر بأن دمي أنا مراق ..

في نهر دجلة ..

في فرات العراق ؟

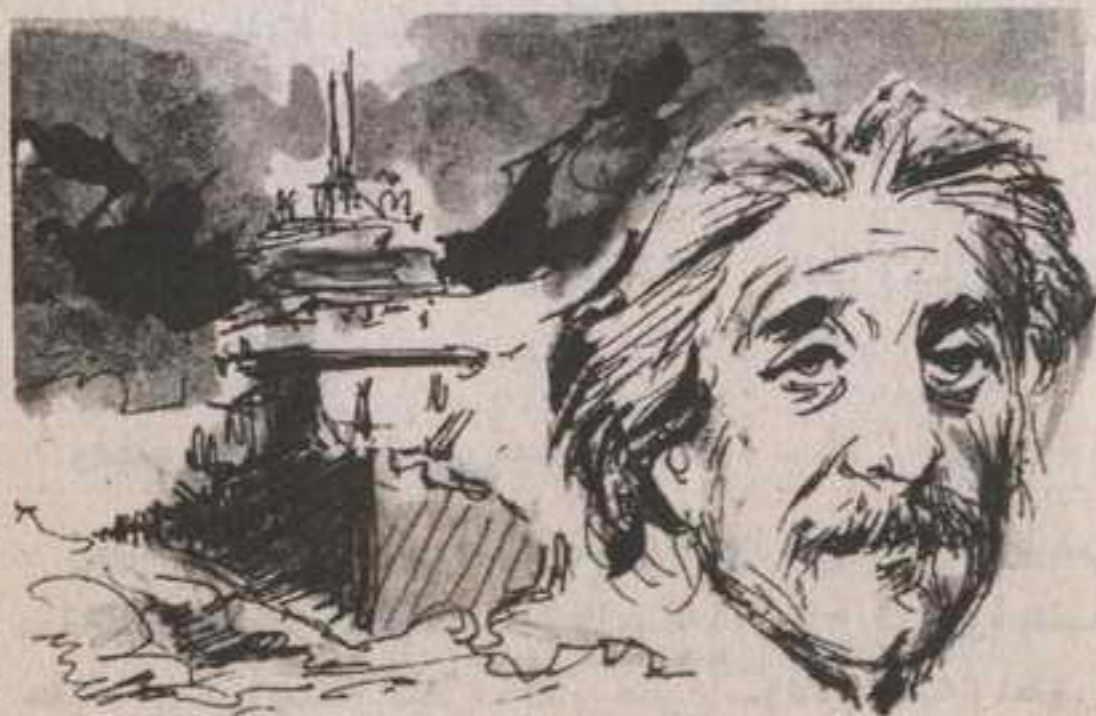
و. نبيل فاروق

روايات مصرية الحديث

كوكب
٢٠٠٠

تجربة (فيلادلفيا)

(دراسة)



مطبعة ونشر
للإسسة العربية الحديثة
تعم والنشر والتوزيع
٢٠١١ - ٢٠١٠ - ٢٠٠٩ - ٢٠٠٨ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٦ - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٤ - ٢٠٠٣ - ٢٠٠٢ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٠

● كل شيء كان يبدو هادئاً ، فى ذلك الصباح المشرق ، من صيف عام ١٩٥٤م ، عندما أوقف (جون كارنبتير) ، الصحفى فى جريدة محلية صغيرة فى (بوسطون) سيارته ، أمام مقهى شعبى بسيط ، على مشارف ولاية (نيوجيرسى) الأمريكية ؛ ليتناول قدها من القهوة ، قبل أن يكمل رحلته الطويلة ؛ لحضور حفل زفاف شقيقه الوحيد (ألبرت) فى مدينة (دوفر) ..

و داخل المقهى ، كان هناك ثلاثة من كبار السن ، يتناولون إفطارهم فى هدوء ، ويتبادلون أحاديث مهمة ، وكأنهم يخشون أن يرتفع صوتهم ، فيحطم ذلك الصمت الساكن ، الذى يلف المكان كله ..

وبصوت خافت ، صنعه إحساسه بالمكان ، طلب (جون) قده قهوة بدون سكر ، و...

وفجأة ، اقتحم ذلك الرجل المكان ..

رجل تجاوز الأربعين من عمره يعلم أو عامين على الأكثر ، ويوحى بنيته بأنه كان يمارس يوماً عملاً شاقاً منتظماً ، يحتاج إلى قوة بدنية عالية ، فى حين يمنحه شعره ، الذى امتزج سواده ببياضه ، مظهرًا أقرب إلى الوسامة المعتدلة ، التى كان من الممكن أن يتمتع بها وجهه كله ، لولا نظراته الزائفة ، ولهجته الحادة إلى حد ما ، وهو يهتف بصوت مرتفع ، بدا وكأنه قد شقّ السكون والصمت فى قسوة :

- من صاحب تلك السيارة الصغيرة فى الخارج !؟

كان من الواضح أن كل الحاضرين يعرفونه جيّداً ، فقد أداروا أبصارهم إليه لحظة فى إشفاق ، ثم لم يلبث كل منهم أن عاد إلى ما يشغله ، وكأنهم لم يسمعوا حتى ما هتف به ذلك القادم ..

أما (جون) ، فقد انتفض جسده مع الهتاف المباغت ، الذى أفسد ما شعر به من استرخاء فى المكان ، فاستدار إلى صاحبه ، وهم يبلاغه أنه صاحب السيارة الصغيرة فى الخارج ، وأن المكان متسع ، بحيث لا يمكنه أن يتصور أن سيارته هذه ، يمكن أن تسبب لأى مخلوق أية مشكلة ، من أى نوع .. ولكنه لم يكن قد نطق بحرف واحد بعد ، عندما اتجه الرجل نحوه مباشرة ، ولوح بسبأته فى وجهه ، هتفاً :

- أنت صحفى .. أليس كذلك !؟

ازدرد (جون) لعابه ، وهو يجيبه :

- بلى .. هل من خدمة يمكننى أن ...

قاطعته الرجل ، قبل أن يتمّ سؤاله :

- إنك تعتقد أننى مجنون .. أليس كذلك !؟

لم يدر (جون) بم يمكن أن يجيب سؤالاً كهذا ، وشعر بحرج شديد فى أعماقه ، وهو يتطلع إلى الرجل ، مغمغماً :

- الواقع أن ..

مرة أخرى ، قاطعه الرجل ، وهو يميل نحوه ، قائلاً في توتر بالغ :

- هذا ما يريدونه بالضبط .. أن نبدو كالمجائين .. أن يظن الكل أننا فاقدو العقول .. أتعلم لماذا؟!!

لم يفهم (جون) من هؤلاء ، ولا ما الذي يريدونه ، إلا أنه تمتع في خفوت ، وهو يتطلع إلى الرجل مباشرة :

- لماذا؟!!

أشار الرجل إلى رأسه ، وهو يميل نحوه أكثر ، قائلاً بلهجة عجيبة :

- حتى لا يصدقنا أحد .

تضاعفت حيرة (جون) ، وهو يتطلع إلى وجه الرجل ، الذي اعتدل بحركة واحدة ، وهز رأسه ، مستطرداً في أسى شديد :

- ولقد نجحوا في هذا .. لم يصدقنا أحد .. لقد عشت التجربة بنفسى ، ورأيت ما يمكن أن يصيب أكثر الناس عقلاً بالجنون ، ولا أحد يصدقنى .

بدا الضجر والتبرم ، على وجه صاحب المقهى ، وهو يقول فى شيء من الخشونة والغلظة :

- عد إلى منزلك يا (فيليب) .. الوقت مازال مبكراً على ما تفعله .

لوح (فيليب) هذا بذراعه كلها ، صائحاً :

- الوقت مازال مبكراً؟! أى قول هذا يا رجل .. أتظننى مخموراً؟! إننى لم أتناول قطرة واحدة من الخمر هذا الصباح ، ولكن الصحافة ينبغي أن تعرف الحقيقة .. كل الحقيقة .

جذبت العبارة انتباه (جون) بشدة ، وخاصة عندما حملت الكلمتين ، اللتين تعنيان عنده كل شيء ..

الصحافة .. والحقيقة ..

وفى حدة واضحة ، كرر صاحب المقهى :

- عد إلى منزلك يا (فيليب) .

ولكن (جون) أشار إليه بالهدوء ، وهو يسأل الرجل فى اهتمام :

- أية حقيقة يا سيد (فيليب)؟!!

أجابه الرجل فى سرعة :

- (دوران) .. اسمى (فيليب دوران) .. خاطبني باسم السيد (دوران) ..

سأله (جون) مرة أخرى ، فى اهتمام أكثر :

- فليكن .. ما الحقيقة التى تعنيها يا سيد (دوران)؟!!

التقط (فيليب) نفساً عميقاً ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً بلهجة خاصة ، توحى بأهمية خطورة الأمر :

- حقيقة السفينة (DE - 173) ..

وبح صوته مع انفعاله الجارف ، وهو يميل أكثر ، مكماً :

- لقد رأيتها تختفى أمام عيني .. بكل ما عليها ، ومن عليها .

لم يفهم (جون) ما يعنيه هذا بالضبط ، ولكنه تتمم :

- تختفى؟! أتقصد تفرق!؟

هزّ (فيليب) رأسه في قوة ، وهو يلوح بذراعه ، هاتفاً :

- لا .. لم تفرق .. اختفت .. تلاشت .. أحاط بها بخار رمادي

خفيف ، ثم اختفت ..

وارتفع صوته بغتة ، كما لو أن نوبة من الجنون قد أصابته ،

وهو يتابع :

- تماماً مثل فيلم (الرجل الخفى) .. هل تذكره!؟

اتسعت عينا (جون) عن آخرهما ، وهو يحدث في وجه

(فيليب) ، في حين صاح صاحب المقهى في غضب :

- (فيليب) .. لقد حذرتك من القدوم إلى هنا ، وترديد تلك

الخرعبلات .. هيا .. انصرف .. عد إلى منزلك ، وإلا ...

صاح (فيليب) في ثورة :

- ليست خرعبلات .. لقد رأيتها بنفسى .

اختطف صاحب المقهى بندقيته ، وصوب فوهتها إلى (فيليب) ،
صانحاً في خشونة شديدة قاسية :

- عد إلى منزلك .

مطّ (فيليب) شفّتيه في يأس ، وهزّ رأسه مستسلماً ، ثم أدار
وجهه إلى (جون) ، وكرّر في إصرار :

- لقد رأيتها تختفى .

ثم استدار ، وغادر المكان بخطوات متناقلة مرهقة ، جعلته
يبدو وكأنه يفوق عمره الحقيقي بثلاثين عاماً على الأقل ، في
حين أعاد صاحب المقهى بندقيته إلى موضعها ، وهو يقول في
غلظة :

- لا تلق بالألحديته هذا .. إنه مجنون بالفعل .. كان مجنناً في مشاة

البحرية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، وخرج منها عام ١٩٤٤م ،
بسبب جنون صنعه الخوف ، وقضى ما يقرب من ثمانى سنوات ، في
مصحة للأمراض النفسية والعصبية ، ومنذ سمحوا له بالخروج منها ،
وهو يردد هذه السخافات .

تألقت عينا (جون) ، على نحو أدهش صاحب المقهى نفسه ،
وهو يسأله في لهفة شديدة :

- كان أحد جنود مشاة البحرية؟! قل لي يا رجل : هل تعلم أين كانت وحدته بالضبط!؟

رقمه صاحب المقهى بنظرة حذرة ، وهو يجيب :

- في (فيلاذلفيا) ، حسبما أذكر .

وهنا ، تضاعف تألق عيني (جون) ، وهو يهتف :

- (فيلاذلفيا) .. آه .. كنت أتوقع هذا .

ثم اندفع خارج المقهى ، في محاولة للحاق بالرجل ، وهو يهتف :

- سيد (دوران) .. انتظرني .. أريد أن أتحدث إليك .. صحفياً .

واتسعت عيون الجميع في دهشة مستنكرة ، وقد بدا لهم لحظتها أن (جون) هو المجنون الحقيقي في هذا الأمر ..

ولم يخطر ببال أحدهم لحظة واحدة ، أن (جون كارنبر) قد وضع يده ، في تلك اللحظة التاريخية ، على طرف الخيط ، الذي سيقوده إلى كشف أخطر تجربة بحرية عسكرية ، أجرتها الولايات المتحدة الأمريكية ، في تاريخها كله ..

تجربة (فيلاذلفيا) ..

الرهيبه <

٢- أينشتين ..

• منذ وضع نظريته النسبية ، عام ١٩٠٥م ، سجل (ألبرت أينشتين) اسمه ، في تاريخ العلم الحديث ، كواحد من أكثر العلماء عبقرية وجرأة ، خاصة وأن نظريته المدهشة قد صنعت منعطفاً هائلاً في مسار العلم الفيزيائي كله ..

ولأن طبيعة العلماء تدفعهم دوماً للبحث والدراسة ، مهما حققوا من نتائج ، ومن نجاحات ، فقد انشغل العالم الفذ ، منذ أوائل عام ١٩١٦م ، في دراسة ما أطلق عليه اسم (نظرية الحقل الموحد) ..

ففي ذلك الحين ، راودت (أينشتين) فكرة ألا تكون الجاذبية الأرضية قوة على الإطلاق ، بل مجرد خاصية من خواص ما أسماه (الزمكان) ، أو ارتباط طاقة الزمن بالمكان ..

وتمادى (أينشتين) في بحثه هذا ، إلى درجة قوله : بأن ما نطلق عليه اسم المادة ، ليس أكثر من منطقة ، حدث فيها تركيز بالغ القوة لطاقة ذلك الحقل الموحد ، بحيث صارت ملموسة ومحسوسة ..

باختصار ، أراد صاحب النظرية النسبية أن يثبت ، أن المادة هي صورة من صور الطاقة ، وليس العكس ..

وعلى الرغم مما يتمتع به (ألبرت أينشتين) ، من مصداقية

واحترام ، فى الأوساط العلمية والفيزيائية ، إلا أن نظريته الجديدة هذه قوبلت بشيء من التحفظ والحذر ، باعتبار أن كل قواعد العلم تؤكد أن المادة والطاقة يتواجدان جنباً إلى جنب فى الحياة ، وأن المادة يمكن أن تتحول إلى طاقة ، بالاحتراق أو التبخر مثلاً ، فى حين تقول نظرية (أينشتين) الجديدة إن كل ما يحدث هو أن الطاقة تعود إلى حالتها الأولى فحسب ، عندما تتحلل من صورتها المادية ..

وعلى الرغم من الاعتراضات العديدة ، واصل (أينشتين) العمل فى نظريته هذه ، وفى محاولاته لإثبات أن الجاذبية ليست قوة فى حد ذاتها ، وإنما هى تأثير من تأثيرات الاندماج ، أو التناغم ، بين عدة قوى أخرى ، على رأسها المجالات الكهرومغناطيسية الأرضية ..

وفى عام ١٩٢٧م ، بدأ (أينشتين) يمزج نظريته هذه ، مع نظرية تبادل الطاقة ، التى تقول : إن كل نوع من الطاقة يمكن أن ينشأ من نوع آخر منها ، تماماً كما يمكن توليد الكهرباء بوساطة مغناطيس ، فى المولدات الكهربائية العادية ، فى نفس الوقت الذى يمكن فيه توليد المغناطيسية من الكهرباء ، كما نجد فى المغناطيس الكهربى ..

وهنا ، وضع العالم الفيزيائى العبقري يده ، على حقائق (نظرية الحقل الموحد) ..

وهذا الحقل هو ما ينشأ من مزج الطاقة الكهربائية بالمجال المغناطيسى للأرض ، والجاذبية الأرضية ، والأشعة الكونية والنوية معاً ..

وطوال عمره ، الذى تجاوز السادسة والسبعين ، ظل (أينشتين) وحده فى هذا الملعب ، يسعى لإثبات (نظرية الحقل الموحد) ، فى حين يصرّ باقى العلماء على أنه يلاحق هدفاً وهمياً ، فى محاولة عابثة ، لإيجاد قواعد لنظام الفوضى (على حد قولهم) ..

ولكن هناك بعض الأدلة ، التى تشير إلى أن (أينشتين) قد أجرى بالفعل تجربة عملية ، على تأثير الحقل الموحد هذا ..
وأنها كانت تجربة رهيبة ..
إلى أقصى حد ..

ففى (نيو جيرسى) ، عام ١٩٥٤م ، وعندما لحق الصحفى (جون كارنبر) بذلك الرجل (فيليب دوران) ، الذى يتصوره سكان بلدته مجنوناً ، وجمعتهما جلسة واحدة هادئة ، قال (فيليب) :

- كان هذا فى أكتوبر ١٩٤٣م ، عندما أخبرونا أنهم سيجرون تجربة خاصة جداً ، على سلاح جديد ، لو نجح ، فسيؤدى إلى سحق الأسطولين ، الألمانى واليابانى معاً ، بأقل خسائر ممكنة .. وفى ذلك اليوم ، اجتمع كبار القادة فى (فيلاذلفيا) .. فى القاعدة البحرية

هناك ، وجاء بعض المدنيين ، أحدهم كان طويل الشعر أشييه ، صاحب شارب كث ، أثار سخريّة البحارة ، وكان من الواضح أنهم يولونه جميعاً اهتماماً بالغاً ، وهو يشرف على تركيب بعض الأجهزة ، التي لم أر مثلها قط ، ثم جاءت السفينة (DE - 173) .

راح (فيليب) يلهث على نحو عجيب ، من فرط الانفعال ، عندما بلغ هذه النقطة ، فناوله (جون) قدحاً من الماء ، وهو يسأله في اهتمام :

- هل تعرف اسم ذلك المدني طويل الشعر !؟

هزّ (فيليب) رأسه نفيًا ، وهو يجرع قدح الماء ، ثم أجاب :

- أظننى رأيته فى مكان ما ، ولكننى لست أذكر أين بالضبط !!

أوماً (جون) برأسه متفهماً ، وسأله :

- ماذا حدث ، بعد قدوم السفينة (DE - 173) !؟

تنهّد (فيليب) فى عمق ، قائلًا ، وقد عاوده ذلك اللهث الانفعالى :

- كانت هناك سفينتان أخريان ، على جانبى (DE - 173) ، وعلى متنها تلك الأجهزة العجيبة ، ولقد راحتا تبثان طاقة ما ، نحو السفينة .. فى البداية ، بدا الأمر أشبه بأزيز ينتشر فى الهواء ، ثم تحوّل إلى طنين قوى ، وبعدها أصبح ارتجاجاً عنيفاً ، جعلنى أغلق عينيّ فى قوة ، ورأسى يكاد ينفجر ، وعندما فتحتهما ثانية ، كان

هناك ضباب رمادى خفيف ، يحيط بالسفينة (DE - 173) ، ثم لم يلبث ذلك الضباب أن أصبح شفافاً ، واختفت داخله السفينة تماماً ، حتى لم يعد يظهر سوى أثرها على سطح الماء .

اتسعت عيناه ، وكأنما يستعيد ذكرى تلك اللحظات الرهيبة ، وهو يلوح بكفيه فى الهواء ، متابعاً فى انفعال :

- كنت أسمع صراخاً رهيباً ، ينبعث من الفراغ ، الذى تركته السفينة خلفها ، وكأنما يعانى بحارتها عذاباً يفوق احتمال البشر ، ولكن الكل أكدوا أنهم لا يسمعون شيئاً ، وأننى أتوهم فحسب ، حتى عادت السفينة للظهور ، وتلاشت تلك السحابة الرمادية ، وعرفنا ما حدث .

كان الهلع محفوراً على ملامحه ، وهو ينطق الجملة الأخيرة ، مما دعا (جون) إلى أن يسأله فى لهفة :

- وماذا حدث !؟

اتسعت عينا الرجل أكثر ، وهو يلوح بذراعيه كليهما ، مجيباً :

- أمور رهيبة .. رهيبة إلى حد لا يمكن وصفه .

ثم مال نحوه ، مضيفاً فى ارتياح :

- الرجال أصيبوا بصدمة هائلة .. بعضهم شعر بالآلام مفزعة ، فى كل خلية من جسده ، والبعض الآخر شاهد أشباحاً ، والبعض الثالث فوجئ بمخلوقات عجيبة تهاجمه .. المهم أنهم عتوا جميعاً من عذاب لا مثيل له ، خلال الدقائق القليلة ، التى اختفوا فيها ، مع (DE - 173) ..

اتسعت عينا (جون) عن آخرهما ، وهو يحدث في وجه (فيليب) ، الذي شحب حتى نافس وجوه الموتى ، من هول ما تستعيده ذاكرته ..

ولم تكن هذه أول مرة ، يسمع فيها الصحفي (جون كارنبر) بأمر تجربة (فيلادلفيا) الرهيبة هذه ..

ففي عام ١٩٥٣ م ، التقى بضابط سابق من البحرية ، همس في أذنه بأنه قد سمع من بعض القادة القدامى ، أن تجربة علمية مذهشة قد أجريت ، في منطقة أمنية خاصة ، في ساحة البحرية في (فيلادلفيا) ، لإخفاء مدمرة كاملة ، كوسيلة لابتكار سلاح سرى خفى ، قادر على مباغطة الأسطول الياباني ، في عرض المحيط الهادي ..

ومنذ ذلك الحين ، تراسى إلى مسامعه الكثير من الأحاديث ، حول التجربة الرهيبة ، ولكنها كلها لم تحمل لمحة تأكيد واحدة ، مما جعله يتجاهل الأمر برمته ، ولا يوليه الاهتمام الكافي ، باعتبار أن كل ما يسمعه مجرد شائعات ، أو أمور أسوأ فهم مدلولاتها ، كما يحدث في كثير من الأحيان ..

حتى التقى بذلك الرجل (فيليب دوران) ..

فعلى الرغم من أن الكل يعتبر (فيليب) هذا مجنوناً ، إلا أن كونه أحد مشاة البحرية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، في منطقة (فيلادلفيا) بالذات ، كان يمنح حديثه شيئاً من المنطقية ..

ثم إنه كان أول شاهد عيان على ما حدث ..

وبحركة مفاجئة ، هبَّ (جون) من مقعده ، واندفع نحو كومة مهملة من الصحف ، والتقط من بينها صحيفة قديمة ، وضعها أمام (فيليب) ، وهو يشير إلى صورة في واجهتها ، متسائلاً :

- هل يمكنك أن تجد ذلك الأشييب طويل الشعر ، كث الشارب هنا !؟

ألقى (فيليب) نظرة ممعنة على الصورة ، قبل أن يشير إلى أحد الأفراد فيها ، وهو يجيب في ثقة وحزم :

- إنه هذا الرجل .

وتألقت عينا (جون كارنبر) في شدة ..

فالرجل الذي تعرفه (فيليب) في الصورة ، باعتباره ذلك الذي كان يشرف على الأجهزة ، في تجربة (فيلادلفيا) ، لم يكن سوى (أينشتين) ..

(ألبرت أينشتين) .. شخصياً ؟

لقد تجاهلت البحرية الأمريكية الموقف تمامًا ، وكأنه لم يكن ، ولم تحاول النفي أو التكذيب ، أو حتى الاستنكار ، بل تصرفت كما ينبغي أن تفعل ، لو أن هذه مجرد ترهات مخبول ..

ومن المؤكد أن هذا التجاهل كان مدروسًا بمنتهى الدقة ، من قبل البحرية الأمريكية ؛ إذ إن التجاهل التام كفيل بإنهاء الموقف كله ، في حين أن أي رد فعل إيجابى آخر ، مهما كان هدفه ، سيمنح (جون) فرصة الرد ، والتعليق ، وربما التمادى أيضًا ، وصنع قضية ترغب القيادة كلها فى إغلاق كل أبوابها إلى الأبد .. والواقع أن هذا قد أغضب (جون) بشدة ..

أغضبه ؛ لأنه يفسد خطته كلها ، وينسفها من أساسها ؛ فمن غير المنطقى أن يواصل نشر أية مقالات ، حول الأمر نفسه ، دون ردود أفعال واضحة من جهة ما ، خاصة وأن معظم من قرأ القصة لم يولها الكثير من الاهتمام ، باعتبار أن راويها مجنون ، وأن القصة نفسها عسيرة التصديق ..

وبدأ (جون) يشعر باليأس ، وفكر فى تجاهل الأمر كله ، ونسيان ما سمعه من (فيليب دوران) ، و...

وفجأة ، وصل ذلك الخطاب ..

خطاب يحمل توقيع (باتريك ماسى) المتخصص ، والباحث فى مجال الكهرباء ، والذي قال فيه ، بالحرف الواحد :

- « مررت بتجربة غير عادية ، فى أثناء الحرب العالمية الثانية ،

٣ - شهود العيان ..

• على الرغم من أن الصحفي (جون كارنبت) قد حصل على قصة مذهشة ، حول تلك التجربة الرهيبة ، التى قامت بها البحرية الأمريكية فى (فيلادلفيا) ، فى أكتوبر ١٩٤٣م ، لإخفاء السفينة الحربية (DE - 173) ، والتى تسببت فى كارثة بشعة ، لكل من كان على ظهر السفينة ، إلا أنه كان يدرك جيدًا استحالة نشر القصة ، خاصة وأن الشاهد الوحيد ، الذى روى ما حدث ، يعتبر من الناحية القانونية - مجنونًا ..

ولقد حار (جون) طويلًا ، فى إيجاد حل لهذه المشكلة ، قبل أن يتفتق ذهنه عن حل جيد ..

ففى الصفحة الثالثة ، من جريدته المحلية ، وأسفل أخبار الحوادث المحدودة ، روى (جون) كل ما حدث ، فى أثناء رحلته إلى (دوفر) ؛ لحضور حفل زفاف شقيقه (ألبرت) ..

وبأدق التفاصيل ..

ثم انتظر ..

كان كل ما يأمله ، هو أن تجرى البحرية الأمريكية اتصالها به ؛ لتتفى القصة تمامًا ..

ولكن هذا لم يحدث أبدًا ..

عندما كنت أخدم في صفوف البحرية ، في أواخر ١٩٤٥م ، عندئذ كنت في موقع ما ، في أثناء خدمتي في (واشنطن) ، وأتيح لي أن أشاهد جزءاً من فيلم خاص جداً ، كان يشاهده بعض ضباط البحرية ، من كبار الرتب ، وكان يدور حول تجربة ما ، تجرى في البحر ، ولأن مهامى الأمنية لم تكن تسمح لي بالجلوس ومشاهدة الفيلم ، إلا أنني استطعت أن ألمح جزءاً منه ، حيث كانت هناك سفينتان تبثان نوعاً من الطاقة ، نحو السفينة الوسطى ، وأظنها كانت موجات صوتية ، إلا أنني لست واثقاً من هذا .. المهم أن السفينة الوسطى قد اختفت ، داخل ضباب شفاف ، على نحو بطيء ، بحيث لم يعد لها من أثر ، سوى ما تركته على سطح الماء ، قبل أن تعود إلى الظهور في بطن ، وبعد الفيلم ، سمعت القادة وهم يناقشون ما رأوه ، وكان أحدهم يقول : إن سبب المشكلة ، التي أصابت أفراد طاقم السفينة ، هو استمرار الحقل الموحد لفترة طويلة .. »

إلى هنا ، انتهت رسالة (باتريك) ، التي يمكن اعتبارها نسخاً لشهادة (فيليب) ، باستثناء أمر واحد فحسب ..

إنها أول مرة ، يذكر فيها اسم (الحقل الموحد) ..

ولأن (جون) كان دارساً جيداً للعلوم ، فقد جذب المصطلح انتباهه واهتمامه ، فراح يبحث عنه ، في كل الموسوعات العلمية المعروفة ، وكل المجلات العلمية المتخصصة ، حتى عشر أخيراً

على مقال ، يهاجم فيه أحد العلماء تلك النظرية ، التي حاول (أينشتين) إثباتها ، منذ ما يقرب من أربعة عقود من الزمن ..

نظرية الحقل الموحد ..

وهنا ، أيقن (جون) من أن حديث (فيليب) لم يكن مجنوناً ، بل كان حقيقياً إلى أقصى حد ..

ونشر (جون) خطاب (باتريك) ، إلى جوار رأيه الشخصي حول الأمر ، كما ربط كل هذا بنظرية (أينشتين) ، حول الحقل الموحد للطاقة ..

وهنا ، تفجّر الموقف إلى أقصاه ..

وانهالت الخطابات والتعليقات على الجريدة ..

وتحوّل الأمر فجأة إلى قضية كبرى ، حتى إن ثلاثاً من الصحف الكبرى ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، أعادت نشر مقالى (جون) ، لتقرأ (أمريكا) كلها قصة تجربة (فيلادلفيا) ..

وهنا أصبح السكوت مستحيلاً ..

وعلى الرغم من أن البحرية الأمريكية لم تصدر بياناً رسمياً حول الأمر ، إلا أن أحد قادتها صرّح ، في مؤتمر صحفى غير رسمى ، أن ما نشر مجرد خزعبلات ، وأنه من المضحك أن يقال إن إخفاء سفينة حربية كاملة ، يمكن أن يكون حقيقة واقعية ..

وبدلاً من أن يهدئ هذا التصريح الموقف ، فإنه أشعله بشدة ..

وبدأ (جون) يجرى تحرياته على نطاق واسع ، بتمويل من إحدى الصحف الكبرى في (واشنطن) ، كما اضطر للاستعانة بثلاثة من معاونين ، لفرز كل ما يصله من خطابات ورسائل وبرقيات ، لاختيار ما تلوح الجدية من بين سطورهم ، واستبعاد محاولات الشهرة والجدل العقيم ..

ولقد تأكد (جون) من أن (فيليب دوران) كان يعمل في قطاع الأمن ، في مشاة البحرية الأمريكية ، في (فيلادلفيا) ، في أكتوبر ١٩٤٣ م ، كما حصل على وثائق تثبت عمل (باتريك ماسي) ، كخبير في الكهرباء ، وانتدابه من البحرية إلى القيادة في (واشنطن) ، خلال عام ١٩٤٥ م ، مما يمنح شهادة الرجلين مصداقية لا بأس بها ..

ثم توصل إلى حقيقة أخرى مذهلة ..

فما يقرب من ٦٦٪ من أفراد طاقم السفينة الحربية (DE - 173) ، تم إيداعهم مصحات نفسية وعصبية ، خلال الفترة من نوفمبر ١٩٤٣ م ، وحتى ديسمبر ١٩٤٥ م ، وبعضهم ظلّ هناك حتى منتصف الخمسينات ..

وتساءل (جون كارنبتن) ، في مقاله التالي :

- أمن المنطقي أو المعقول ، أن يصاب كل هذا العدد من رجال

البحرية ، من سفينة واحدة ، باضطراب عقلي مشترك ، دون سبب واضح !؟

وجاء السؤال كطغنة في الصميم ، لقيادات البحرية الأمريكية ، التي واصلت عدم التعليق رسمياً ، ولكنها أخفت - في الوقت ذاته - كل الأوراق والوثائق ، الخاصة بالسفينة المنكوبة ..

وعلى الرغم من توالي الشهادات من كل صوب ، على مكتب (جون كارنبتن) ، ومن أن العشرات من بحارة طاقم (DE - 173) قد قصوا القصة نفسها ، وأيدوا ما قاله (فيليب) و (باتريك) ، إلا أن جميعهم كانوا يحملون شهادة طبية رسمية ، تؤكد أنهم ليسوا في حالتهم الطبيعية ، مما جعل شهادتهم بلا سند قاتوني مؤكداً ..

وربما كان هذا هو السبب الرئيسي ، الذي دفع قيادات البحرية إلى إيداعهم هذه المصحات ، خلال فترة الحرب ، وما بعدها ..

وفي رسالة أحد البحارة ، وهو (مايكل جريج) ، المسئول الثاني عن الدفة ، قال الرجل :

- كنا على ظهر السفينة ، نعلم جيداً أنهم سيقومون بتجربة سلاح ما ، وكان معظمنا مفعماً بالحماسة ، ثم بدأت تلك المولدات الضخمة في العمل ، وشعرنا وكأن رءوسنا ستنفجر ، وكادت قلوبنا تثب من صدورنا ، مع عنف خفقاتها ، وبعدها أحاط بنا ضباب أخضر كثيف ، وأظلمت الدنيا من حولنا ، وكأننا قد فقدنا

أبصارنا ، فاستولى الرعب على معظمنا ، وراح الكل يعدو بلا هدف ، في كل مكان وكل اتجاه ، وتصوّرت أننا قد غرقنا في عالم آخر ، أو أن عقولنا قد أصابها الجنون ، مع تلك الهلاوس التي تراءت لنا ، فصديقي (ميجور) أقسم إنه يرى زوجته الراحلة ، والضابط (براد) راح يضحك في جنون ، والقبطان (رود) أخذ يدير الدفة في حركات هستيرية ، وهو يصرخ بأنه من الضروري أن نخرج من بحر الظلمات هذا ، أما أنا ، فلقد التقيت بمخلوقات من عالم آخر ، أو هي وحوش ، أو لعلها مجرد هلاوس مجنونة .. المهم أن ما عاتيناه هناك لم يكن عادياً أبداً ، بل كان يستحق أن نصاب بجنون حقيقي .

كان أول خطاب من أحد بحارة السفينة المنكوبة ، وإن كان إثبات هذا أمراً مستحيلاً ، بعد أن أخفت البحرية كل الوثائق الرسمية ، وواصلت إصرارها على رفض التحدث عن الأمر ، على الرغم من سيل الخطابات ، واهتمام الرأي العام ..

ثم وصل إلى (جون) فجأة خطاب خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

هذا لأنه كان كافياً ؛ ليقرب الأمور كلها رأساً على عقب ..

وبعنف

٤ - الرسالة ..

• استمر صراع (جون كارنبت) طويلاً ، في محاولته لإثبات قيام البحرية الأمريكية بتلك التجربة الرهيبة ، التي حاولت فيها إخفاء سفينة حربية كاملة ، لولا أن أصيب طاقمها بأضرار فادحة ، حتمت إيقاف التجربة وعدم تكرارها ..

وعلى الرغم من سيل الخطابات والرسائل ، ومن شهود العيان ، الذين وصفوا ما حدث على سطح السفينة ، ظل الأمر كله أشبه بلعبة عبثية ، مع غياب الدليل المادي الحاسم ، على حدوث تلك التجربة ، خاصة وأن كل الشهود كانوا من نزلاء المصحات النفسية السابقين ، ومن بحارة السفينة أيضاً ..

ومع مواصلة البحرية صمتها العنيد ، بدأ الموقف ينحسر ، وراح اهتمام العامة يقل تدريجياً ، و...

وفجأة ، وصلت رسالة بالغة الخطورة ..

رسالة تحمل توقيع العالم الفيزيائي المعروف (ألند) ..

وفي رسالته ، قال (ألند) :

- « لن يمكنكم أن تتصوّروا عظمة تجربة (أينشتين) ، التي لم يعترف بها أحد .. لقد دفعت يدي حتى المرفق ، داخل حقل الطاقة الفريد هذا ، بمجرد أن بدأ في التدفق ، في عكس اتجاه عقارب

الساعة ، حول السفينة البحرية (DE - 173) ، ولقد شعرت به يعبر يدي الممدودة داخله .. أما الهواء حول السفينة ، فقد تحول في ببطء إلى لون قاتم ، قبل أن يتكوّن سديم رمادي ضبابي ، أشبه بالسحاب الخفيف ، أظنه الجسيمات الذرية ، أو الهواء المتأين ، حول السفينة ، التي راحت تختفي تدريجياً ، عن الأعين البشرية .. هذا الحقل يوحي بأنه هناك كهربية صافية تحيط به بمجرد تدفّقه ، ولقد كان من القوة ، بحيث كاد يبتلع جسدي كله ، عندما بلغت كثافته أقصاها ؛ إذ راح يتحرك بغتة في اتجاه عقارب الساعة ، وأظن أن هذا الانعكاس في الحقل ، هو سبب فشل التجربة .. «

رسالة كهذه ، من عالم له مكانته مثل (أند) كانت تكفي لكسر حاجز صمت البحرية بعنف ، مما أجبر قيادتها على الإدلاء ببيان رسمي ، قالت فيه باختصار ، أقل ما يوصف به هو أنه مخل ، وغير مُشبع :

- لا يوجد في ملفات البحرية كلها ، ما يحمل اسم (تجربة فيلاذلفيا) ..

ولقد فجّر هذا البيان المختصر ، موجة من السخط والغضب في كل الأوساط ..

بل وموجة من السخرية أيضاً ، فقد كتب (جون) ، في مقاله التالي ، إنه لم يسمع أو يقرأ ، في حياته كلها ، بيتاً أكثر سخافة وسذاجة ، من بيان قيادة البحرية هذا ؛ إذ إنه ليس بالضرورة أن

تحمل التجربة ، في ملفات البحرية ، اسم (تجربة فيلاذلفيا) ، الذي أطلقه هو على الأمر ، وأنه من المحتم أن يكون لها كود سرى خاص ، مثل (الرجل الخفي) ، أو (الفراغ) ، أو أي اسم آخر ..

ثم عاد ينشر شهادة العالم البروفيسير (أند) وكأنه يتحدّى بها كل قيادات البحرية ..

وانتقلت العدوى إلى عشرات الصحفيين الآخرين ، الذين راحوا يتساعلون بدورهم عن صحة التجربة من عدمها ، في نفس الوقت الذي سعوا فيه للقاء البروفيسير (أند) والتأكد من حقيقة ما ذكره في رسالته .

وقبل حتى أن يعلن (أند) صحة ما ورد في رسالته وصلت رسالة أخرى من عالم آخر ، إلى مكتب (جون كارنيتز) ..

من البروفيسير (فالنتين) ، أحد أشهر علماء الطاقة ، في الولايات المتحدة الأمريكية كلها ..

وعلى عكس رسالة (أند) ، لم يكن (فالنتين) شاهداً على ما حدث ، وإنما كان ينقل حديثاً ، دار بينه وبين عالم آخر شهير ، وهو الدكتور (جيسوب) ..

وفي رسالته ، قال (فالنتين) :

- (جيسوب) أخبرني أن التجربة قد أجريت ، بوساطة مولدات مغناطيسية ، من النوع المستخدم في البحرية ، والمعروفة باسم (معادل المغناطيسية) ، ولقد أصدرت تلك المولدات نبذبات عالية للغاية ، ورنيناً مرتفعاً ، لخلق حقل مغناطيسي هائل ، حول السفينة ..

كان من الواضح أن (فالنتين) على علم بالتجربة في حينها ، وأن (جيسوب) أحد المشاركين فيها ، مما أثار مشاعر الكل ، ودفع سيلاً من الصحفيين ورجال الإعلام نحو (فالنتين) ، الذي فوجئ بهذا الجيش حوله ، وبآلاف الأسئلة التي تخترق أذنيه ، وعقله ، وكيانه كله ، فارتبك واضطرب ، وحاول نفي معرفته بالأمر ، على الرغم من اعترافه بإرسال تلك الرسالة إلى (جون) ، وكل ما قاله أمام الصحفيين هو :

- كل ما أعلمه هو أن الأمر يحتاج إلى ثلاثة من حقول الطاقة المختلفة ، لتتناسب مع مستويات الفراغ الثلاثة ، وأن الأمر يرتبط بالرنين المغنطيسي الفائق ، على نحو ما ..

وعلى الرغم مما قاله (فالنتين) ، فإن (جيسوب) أصر على الصمت التام ، ولم ينف أو يؤيد ما قاله زميله ، ورفض تماماً الإدلاء بأية أحاديث صحفية ، أو حتى إجابة سؤال واحد ..

وهكذا فقد (جون) دليلاً قوياً ، كان يمكن أن يحسم الأمر تماماً ..

ولكن حملته نجحت في تفجير القضية ، وفي دفع العقول إلى التفكير في صحة ما حدث ..

بل ، ودفعت فريقاً من العلماء أيضاً إلى دراسة احتمالات حدوث تلك التجربة عملياً ..

وجاءت النتائج مذهشة ..

معظم العلماء أكدوا أن الأمر قابل للحدوث ، من الناحية العلمية ، إذا ما أمكن توليد حقل كهرومغنطيسي فائق ، حول جسم ما ، مع الاستعانة بقوة الجاذبية الأرضية ، والرنين البالغ ، ولكن هذا لا يمكن أن يصلح ، من الناحية العلمية ، بالنسبة للبشر والكائنات الحية ..

فالهدف من التجربة ، هو كسر الانعكاسات الضوئية ، والوصول بمعامل الانكسار إلى الصفر ، بحيث تعبر الأشعة من خلال الجسم مباشرة ، على نحو يجعله غير مرئي ..

ولو حدث هذا مع البشر ، فسيعنى أن الضوء لن يسقط أو يستقر عند شبكية العين ..

وهذا يعنى أن يصاب الإنسان بالعمى التام ، فلا يرى من حوله سوى ظلام دامس ..

بل ، وكتب أحد العلماء مقالاً ، يؤكد فيه أن النظرية نفسها ، تجعل قصة (الرجل الخفى) ، للكاتب الشهير (هربرت جورج ويلز) مجرد عبث غير علمي ، باعتبار أن ذلك الرجل سيصبح أعمى ، يحتاج إلى من يمد له يد المساعدة ، خلال فترة اختفائه ..

وخلال تلك الفترة ، انتبه (جون كارنبر) إلى حقيقة مذهشة ، لم يحاول استغلالها قط ، وهو يشن حملته هذه ؛ لإثبات حدوث تجربة (فيلاذلفيا) الرهيبة ..

(ألبرت أينشتاين) ..

فشهادة (فيليب دوران) ، في بداية الأحداث ، كانت تشير إلى أن (أينشتين) بنفسه كان يشرف على تلك المولدات المغنطيسية ، في ساحة البحرية في (فيلاذلفيا) ، في أثناء إجراء التجربة ، واسم شهير مثله ، كفيل بإثارة الموقف كله ، على نحو مختلف تماماً ..

وهنا ، وحتى لا يتورط (جون) فيما يمكن أن يدينه قانوناً ، راح يجرى بعض الأبحاث ، حول حياة وعمل (ألبرت أينشتين) ..

وكانت النتائج رائعة ..

ففي عام ١٩٤٠م ، نشر (أينشتين) نظرية (الحقل الموحد) لأول مرة ، ثم تم تعيينه في البحرية الأمريكية ، كعالم له شأنه ، من ٣١ مايو ١٩٤٣م ، وحتى ٣٠ يونيو ١٩٤٤م ، وكانت كانت البحرية تحتاج إلى وجوده الرسمي ، في هذه الفترة بالتحديد ..

والأهم أن (أينشتين) قد نقل مكتبه في البحرية إلى (فيلاذلفيا) ، كما تقول الوثائق الرسمية ، من ١٨ سبتمبر ١٩٤٣م ، وحتى ٣٠ أكتوبر من العام نفسه ..

ولكن الأكثر خطورة هو أن (أينشتين) قد أعلن ، منذ عامين فحسب ، رداً على بعض معارضي نظريته ، أن لديه نتائج تجريبية مقنعة للغاية ، عن العلاقة بين القوى الكهرومغنطيسية والجاذبية الأرضية ، وإن لم يجد بعد دليلاً رياضياً على هذا ، مما يوحي بأنه قد شاهد تجربة عملية ، تؤكد هذا ..

ووفقاً للتواريخ والملابسات ، لا بد أن تكون هذه هي تجربة (فيلاذلفيا) ..

ومع نشر هذا الأمر ، قامت الدنيا ولم تقعد ؛ نظراً لوجود اسم (أينشتين) هذه المرة ، مرتبطاً بالتجربة الرهيبة ..

واتدفع جيش الصحفيين نحو (ألبرت أينشتين) هذه المرة ، وهو يمني نفسه بالحصول على سيل من المعلومات ، من هذا العالم العبقري البسيط ..

ولكن كانت في انتظارهم جميعاً مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

ومؤلمة .. بحق ؟

• ما إن ظهر اسم (ألبرت أينشتين) ، فى مقالات (جون كلرنبتر) ، حول تجربة (فيلاذلفيا) ، حتى انتعش الأمر مرة أخرى ، فى العقول والقلوب ، واندفع الصحفيون ورجال الإعلام ، يبحثون عن العالم العبقري ؛ لسؤاله عن دوره فى تلك التجربة ، التى حاولت البحرية الأمريكية من خلالها ، إخفاء سفينة حربية كاملة ، بكل معداتھا وكامل طاقمھا ، عن الأعين المجردة ، وعن تلك النتائج غير المتوقعة ، التى كادت تصيب الطاقم كله بالجنون ..

ولكن (أينشتين) لم يجب أى سؤال من أسئلتهم ؛ لأنه عندما وصلوا إلى منزله ، كان قد غادر الحياة كلها ، ومات فى هدوء ، فى عام ١٩٥٥ م ..

ومع رحيل (أينشتين) ، فى هذا التوقيت الدقيق جداً ، خبت الحماسة فجأة ، بشأن تجربة (فيلاذلفيا) ، ولم يعد أحد يتابع أخبارها أو حتى المقالات الحماسية ، التى يكتبها (جون) عنها ..

ومع الوقت ، نسى (جون) نفسه الأمر ، وبدأ يستغل شهرته فى إلقاء المحاضرات ، وإقامة الندوات ، وسرعان ما تزوج ، وانشغل بعائلته الجديدة عن الأمر كله ..

وفى أوائل الستينات ، فوجئ الكل بعالم فيزيائى جليل ، وهو (فرانكلينى راينهارت) ، يقول فى حديث تليفزيونى مذاع ، على الهواء مباشرة :

- (أينشتين) كان يعرف جيداً تجربة (فيلاذلفيا) وكان يعمل فيها ، منذ عام ١٩٤٠ م ، مع البروفيسير (رودلف لارنبرج) ، ولقد طلبا منى معاونتھما فى مشروع يتعلّق باستخدام الحقول الكهرومغناطيسية القوية ؛ لإحاطة السفن والمدمرات الحربية بغلاف واق ، يودى إلى انحراف الطوربيدات بعيداً عنها .. ولقد بدأنا العمل فى ذلك المشروع بالفعل ، ثم لم نلبث أن طورنا الفكرة ، إلى إطلاق الحقل الكهرومغناطيسى فى الهواء ، بدلاً من الماء ؛ لإخفاء السفن بصرياً ، وكل ما كان يقلقنا هو الآثار الجانبية ، التى قد تحدث ، نتيجة للتجربة ، وكان من ضمنها احتمال غليان الماء ، أو تأيّن الهواء حول السفينة ، أو أى من تلك الأمور ، التى تؤدى إلى حالة من عدم الاستقرار ، إلا أن أحداً منا ، حتى (أينشتين) نفسه ، لم يفكر فى احتمالات إحلال الكتلة والتداخل بين الأبعاد .

عبارة البروفيسير (راينهارت) الأخيرة لم تكن مفهومة للعامّة ، ولكنها أثارت فى العقول احتمالاً جديداً ، لم يخطر ببال أحد أبداً ، طوال فترة الحديث عن تجربة (فيلاذلفيا) ..

ترى هل تسببت التجربة فى حدوث فجوة بين الأبعاد المختلفة ، أم أنها قد فتحت بوابة إلى عالم آخر ؟!

احتمالات بدت أشبه بالخيال العلمى ، على الرغم من علميتها المطلقة ..

ولقد حاول الصحفيون الاستفسار عما قاله الدكتور (راينهارت)
ومعرفة ما الذى كان يعنيه بمصطلحي (إحلل الكتلة) ، و(التداخل بين
الأبعاد) !!

ولكن (راينهارت) أيضاً لم يجب عن أسئلتهم ؛ لأنه لقي حتفه
فى حادث سيارة مروّع ، تمزق معه جسده تماماً ..

وهنا ، وعلى الرغم من عدم التصريح بهذا ، اتجهت أصابع
الاتهام الصامتة إلى السلطات الحكومية ، وإلى القوات البحرية
الأمريكية بالتحديد ، باعتبارها المسنولة عن مصرع (راينهارت) ،
كمحاولة منها لإخراص الألسنة ، التى تلوّك موضوع تجربة
(فيلادلفيا) الرهيبة ، ومحو أية أدلة ، مادية أو بشرية ، خاصة
وأن (فيليب دوران) قد اختفى فى ظروف غامضة ، بعد خروجه
من ذلك المقهى البسيط ، على حدود (نيو جيرسى) ، فى حين تم
تعيين البروفيسير (ألند) فى المخابرات المركزية ، بحيث يخضع
لقانون السرية ، الذى يحظر عليه الكلام فى الأمر ، أو فى أية
أمر أخرى ، تتعلّق بالأمن القومى ..

وأدرك الكل ، وعلى رأسهم (جون كارنبر) نفسه ، أن الأمر
يتجاوز حدود قدراتهم ، فلاذوا بالصمت التام ، باعتبار أن حياتهم
أعلى من البحث عن حقيقة تجربة فاشلة ، أياً كانت معطياتها ..

ومرّت السنوات فى هدوء ، وأصدر (تشارلز بيرلتر) كتاباً
شهيراً عن تجربة (فيلادلفيا) ، فى أوائل السبعينات ، بدا وكأنه

آخر قول فى هذا الأمر ، الذى انخفض الاهتمام به ، وتحوّل إلى
شبه أسطورة غامضة ، تماماً مثل (مثلث برمودا) ، و(الأطباق
الطائرة) ، و(وحش بحيرة لوخ نيس) وغيرها ..

ثم مات الدكتور (جيسوب) عام ١٩٧٣م ، آخر من ارتبط
اسمه ، من العلماء بتجربة (فيلادلفيا) ..

وتنفّس قادة البحرية الأمريكية الصعداء ، باعتبار أن هذا يحسم
الأمر تماماً ، بعد سنوات من الشد والجذب ..

ولكن (جيسوب) كان قد ترك وراءه مفاجأة غير سارة لهم ..

مفاجأة تتمثل فى خطاب بخط يده ، تركه لدى محاميه ، وطلب
تسليمه إلى (جون كارنبر) بعد وفاته ..

وفى رسالته ، قال (جيسوب) :

- تجربة (فيلادلفيا) كانت كارثة حقيقية بكل المقاييس ، ولقد
تنبأت بفسلها ، قبل حتى أن تبدأ ؛ فقد اعتمد فيها (أينشتين) على
نظرية (الحقل الموحد) ، التى أعارضها بشدة ، وعلى مزج
المجال الكهرومغناطيسى بالجاذبية الأرضية ، مع إشعاع نووى
محدود ، والواقع أننى قد التقيت ببعض ضباط وعلماء البحرية ،
حول هذا الأمر ، وأخبرتهم أنها تجربة مهمة بحق ، ولكنها بالغة
الخطورة ، وقاسية جداً على المتورطين فيها ، والذين سيتعرضون
إلى رنين مغناطيسى هائل ، وهذا يعادل ما يمكن أن نطلق عليه

الطمس المؤقت للبعد ، الذي نحيا فيه .. شيء يخرج عن نطاق السيطرة ، ويمكن أن يؤدي إلى اختراق بعدنا إلى مستوى آخر ، أو بعد آخر .. ولكنهم لم يستمعوا إليّ .. ربما لأنني أقل شهرة من (أينشتاين) ، الذي يعتبرونه أسطورة في الفيزياء .. المهم أن التجربة قد أجريت ، ونجح (أينشتاين) في إثبات العلاقة بين أنواع الطاقة وحقول القوى المختلفة ، وأكد صحة الجزء الخاص بالاندماج ، في نظريته للحقل الموحد ؛ إذ اختفت السفينة بالفعل ، ولكن الحقل تسبّب في خلق منطقة مضطربة ، بدلاً من الغياب الكامل للألوان ، كما أن وجود أفراد الطاقم المساكين ، داخل حقل عذيف للطاقة ، أصابهم باضطرابات وهلاوس عنيفة ، حتى إننا كنا نسمع صراخهم المذعور ، خلال الدقائق القليلة ، التي اختفت فيها السفينة ، كما لو أن أحداً داخلها يذبجهم كالنعاج ..

وفي نهاية خطابه ، كتب (جيسوب) ، وكأنه يعتذر عن اشتراكه في التجربة الرهيبة :

.. وأياً كانت النتائج ، أو حتى الفوائد المرجوة من هذه التجربة ، فلم يكن من الجيد أبداً أن أسمح لهم بإجرائها ، أو أشارك فيها .. تقبلوا أسفى .

ونشر (جون) رسالة (جيسوب) ، ثم استقل سيارته ؛ للعودة إلى منزله ..

ولكنه لم يصل إليه أبداً ..

لقد اختفى (جون كارنبتن) ، واختفت معه رسالة (جيسوب) الأصلية إلى الأبد ، دون أن تتوصل التحقيقات الكثيفة ، التي أجرتها الشرطة ، إلى جثته ، أو حطام سيارته ، أو أدنى أثر له .. بل ودون أي سبب ، سوى أنه قد تجاوز حدوده ، في السعي خلف تجربة (فيلاذلفيا) ، والعمل على سبر أغوارها ، وكشف أسرارها .. وباختفاء (جون كارنبتن) ، أسدل الستار على تلك التجربة المذهلة ، ولم يعد هناك من يتحدث عنها ..

بجدية على الأقل ..

وعلى الرغم من أن كتاب (تشارلز بيرلنر) قد صدر في ثلاث عشرة طبعة ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ، إلا أن الاهتمام بتجربة (فيلاذلفيا) قد تناقص عملياً ، حتى اقتصر على قراءتها ، والانبهار بما حققته ، نظرياً على الأقل ..

وما زال هناك علماء يصرون على أن هذا ممكن ..

وآخرون يستكرون حدوثه بشدة ..

وما زالت هناك عشرات الأسئلة المطروحة ..

هل حدثت تجربة (فيلاذلفيا) بالفعل !؟

وماذا كانت نتائجها بالضبط !؟

ولماذا التستر الشديد عليها !؟

صحيح أن أحدا لا يعرف جواب تلك الأسئلة ، ولا حتى الاسم الحقيقي للتجربة ، في ملفات البحرية الأمريكية السرية ، ولكنها تحوَّلت في الأذهان إلى أسطورة غامضة ..

أسطورة حدثت في (فيلاذلفيا) ، في أكتوبر ١٩٤٣م ..

أسطورة تجربة ..

رهيبه ..

جدًا

تمت بحمد الله

ويأتى الغد ..

(خواطر)

جاء الليل ..

ويا للمرار !!

عشنا نحلم سنوات وسنوات بقدم القرن الحادى والعشرين ،
الذى تصوّرنا أنه سيحمل لنا كل الخير والرخاء والنماء ، بافتراض
أن هذا ناتج طبيعى للتطوّر البشرى ..

ليس التطوّر التقنى ، والصناعى ، والاقتصادى ، وحتى الحربى
فحسب ..

ولكن التطوّر الإنسانى أيضا ..

فالعقل والمنطق يؤكدان أنه كلما زاد علم المرء وثقافته ، زادت
معهما مشاعره البشرية والإنسانية ..

ورقت ..

وتطوّرت ..

تخيلنا أن تطوّر الإنسان سيزيل من نفسه كل الفردية ..

كل الأنانية ..

كل الوحشية ..

تصورنا أنه سيجعل منه كائنًا راقياً ، يحمى حقوقه ، وحقوق الآخرين ..

يدافع عن حرّيته ..

وحرية الآخرين ..

ولكن القرن الحادى والعشرين جاء مختلفاً تماماً عما تصورناه ، وتخيلناه ، وافترضناه أيضاً ..

جاء مع أزمات اقتصادية ..

ومشكلات سياسية ..

وتطاحنات دولية ..

ثم تطوّرت الأمور بسرعة ، منذ عامه الأول ؛ لتواجه (أمريكا) أوّل ضربة داخلية فى تاريخها ..

الضربة التى أفقدتها صوابها ..

وعقيدها ..

وتلك المبادئ ، التى ظنّت تدعى تمسكها بها ..

وقبل أن يمضى العام الثالث ، من القرن الحادى والعشرين ، كانت (أمريكا) ، دولة القطب الواحد ، قد تحوّلت إلى وحش شرس مسعور ، انطلق ليسحق كل مبادئ وقيم وقواعد الدنيا بضربة واحدة ..

ضربة أعلنت أن القرن الحادى والعشرين لن يصبح قرن الخير والنماء ..

بل قرن الاستعمار ..

الاستعمار البغيض ، بأقصى وأسوأ صورته ..

وأريقت الدماء أنهاراً فى (العراق) ..

أريقت ، دون أدنى رحمة أو شفقة ..

أريقت لتراق معها كل القواعد ..

وكل القوانين ..

وبلا هوادة ..

وقبل حتى أن يستقر الموقف هناك ، كانت الوحشية تتجه إلى (سوريا) ..

وحشية من تصور أنه لم يعد له رادع ولا محد ..

كل هذا لأننا لم نتصور أبداً قدوم مثل هذا اليوم ..

ولم نستعد أبداً ..

لم نعد ما استطعنا من قوة ..

أو من رباط الخيل ..

انشغلنا فى صراعات سخيفة ، واختلفنا حول قشور سطحية ،
لن تعلق شأن أى دين فى الوجود ، ونسينا أن نعد القوة ..

وأن نطور رباط الخيل ..

لذا فنحن نستحق الهزيمة ..

نستحق العار ..

والانكسار ..

والضياع والدمار ..

نستحق كل هذا عن جدارة ..

وسنظل نستحقه ، ما لم نتغير ..

ونتطور ..

ونستيقظ من غيبوبتنا هذه ..

سنظل فى المرتبة الأدنى ، حتى ندرك أنه ليس بالهتاف

والغضب واحمرار العيون يأتى التقدم ..

أو يأتى النصر ..

فقط بالعقل ، والمنطق ، والتفكير ، والتدبير ..

بالإيمان الصحيح ، والتطور الهادئ ، وتغليب الفكر على التعصب ..

فقط بالحرية الصحيحة ، والتنمية المخلصة ، والاقتصاد
المدروس ..

بكل هذا فقط ، ربما يكون هناك أمل ، لو عدونا بأقصى
سرعتنا ، للحاق بكل ما فقدناه ، ونحن نتشاجر ، ونتناحر ،
ونتجادل ، حول أمور سطحية ، شكلية مرهقة ..

أقول ربما ..

أما لو ظللنا كما نحن ..

لو أصررنا بعناد طفولى سخييف على أننا الأفضل ، وأنه ليس
فى الإمكان أبدع مما كان ..

لو تخيلنا أنه من الممكن ، تحت أى مقياس فى الوجود ،
الانبذل أدنى جهد للتفوق ، ثم نفوز بالمركز الأول !!

لو ظللنا هكذا ، فهنيئاً لنا بالمركز الأخير ..

ولننعم بالعبودية والذل ، تحت نير محتل ، فعل كل ما دعانا
ديننا لفعله ، فانشغلنا عنه بصراعات القشور ..

وليعلم الكل ، أن إيمان الدنيا كله ، ووجود أشرف الخلق نفسه ،
لم يكف للانتصار فى غزوة (أحد) ..

ربما يكفى لدخول الجنة ..

ولكنه لا يكفى للنصر فى الدنيا ..

ففى الدنيا ، يربح من يتبع القواعد ، وينفذ التعليمات ، ويواجه كل شيء بالواقع ، والفكر ، والهدوء ..

والوقت لم يفت بعد ..

فالليل مهما طال ، لا بد أن ينجلى ..

فلنبداً معاً ، ولنغير ما بأنفسنا ، حتى يغير الله (سبحانه وتعالى) ما بنا ..

عندئذ سنتطور ..

ونتقدم ..

ويأتى النصر ..

ويأتى الغد ..

عندئذ فقط ؟

رقائك همزة الحبيب

كوكب
٢٠٠٠

حبيبي

٢ - أول حب

(دراسة)



طبعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٢٠٠٠ - ٢٠٠٠
٢٠٠٠ - ٢٠٠٠

٢- أول حب ..

فى حدائتى ، ومع بداية توغلى فى عالم الرواية المصرية الساحر ، جذبتنى بشدة عبارة قصيرة ، أوردها الأديب الأستاذ (إحسان عبد القدوس) ، فى بداية روايته الشهيرة (الوسادة الخالية) ، التى تحولت إلى فيلم أكثر شهرة ..

« فى حياة كل منا وهم كبير ، يسمى : الحب الأول .. لاتصدق هذا الوهم .. إن حبك الأول هو حبك الأخير !! » ..

أيامها بالطبع لم أتوقف طويلاً أمام العبارة ، ولم أحاول مناقشتها أو تنفيذها ؛ فما دام الأستاذ (إحسان) كتبها ، فهى صحيحة حتماً !!

ثم مرّت بى الأيام ، وأصابنى ما يصيب كل شباب الدنيا ..
أحببت ..

أحببت حبى الأول ، وعشت فيه بكل كياتى ، وجوارحى ، وعواطفى ، وحتى أحلامى ..

فى ذلك الحين فقدت التمييز ، بين خفقات قلبى ، ونبضات حبى ..
ولفترة طويلة ، خلتهما قد امتزجا ، واختلطا ، وصارا كياتاً واحداً لا ينفصم ..

إهداء

إليك

أنا

وكلما وقع بصرى على محبوبتى - آنذاك - كان قلبى يصرخ بحبها ،
وأطرافى ترتجف بعشقها ، وأنفاسى لا تتنسم سوى هواها ..

فقط هواها ..

وتصوّرت أن ذلك الحب سيبقى فى قلبى إلى الأبد ، ولن يفارقه
لحظة واحدة ، مادام فى صدرى نفس يتردد ..

ولأن الظروف لم تكن تجمعنى بحبيبة قلبى الصغير ، إلا لمدة
شهر واحد كل عام ، فقد كنت أقضى الأحد عشر شهراً الأخرى فى
وله ، وهيام ، وأحلام ، وخيال يرسم ألف صورة وصورة للقاء
المرتقب ، مع نسيمات الصيف القادمة ..

والطريف أن كل هذا كان يدور فى أعماقى وحدى ؛ لأن
محبوبتى لم تكن تفكر حتماً بالأسلوب نفسه ..

ولا بالعاطفة نفسها ..

صحيح أن ابتسامة كبيرة كانت تملأ وجهها كلما التقينا ، ولكنها
نفس الابتسامة ، التى كانت تمنحها للآخرين ، نكورا كانوا أم إنثا ..

ابتسامة عذبة ، طيبة ، هادئة ، كانت أول ما خلب لى بشأتها ..

ولست أدري حتى كيف ذهب كل هذا !!

كيف تبخر الحب كله دفعة واحدة ، ما بين صيف وآخر !!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٧٥

كل ما أذكره هو أننى قد استيقظت فجأة ، فى ليلة من ليالى
الشتاء ؛ لأجد نفسى غارقاً فى حب أخرى ، يفصلها عن منزلى
شارع واحد ..

وهذه ليست سيرة ذاتية ، بقدر ما هى صورة لما يكون عليه
قلب أى شاب صغير ، وهو يخوض تجربة حبه الأولى ..

ولقد تطوّرت شخصيتى ، ودخلت عليها عشرات التعديلات ،
خلال سنوات عمرى ، التى تجاوزت الأربعين ، والتى شهدت عدة
صور من الحب ، قبل أن أتوقف ذات يوم ، وأعيد قراءة عبارة
الأستاذ (إحسان عبد القدوس) ، مرة ثانية ..

وفى تلك المرة الثانية ، وجدت نفسى أقف أمام العبارة حائراً
بحق ..

فما الذى يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط !؟

أمن المحتم حقاً أن يكون الحب الأول مجرد وهم !؟

ثم ماذا عن الحب الأخير !؟

ما المقصود بأن الحب الأول هو الحب الأخير !؟

العبارة ، من الناحية اللغوية ، تقبل معنيين متناقضين
تماماً ..

فمن الممكن أن تعنى العبارة أن الحب الوحيد الصادق ، فى حياة كل مخلوق ، هو حبه الفطرى الأول ، والذى يتم بتلقائية وحرارة ، على نحو لا يمكن أن يتوافر فى أى حب تال ، مهما بلغت قوته ؛ إذ إنه الخفقة الأولى ، فى قلب كل محب ، والتي تقفز به ، من عالم الطفولة ، إلى عالم الصبا والشباب وافتحام الحياة ..

باختصار ، الحب الأول وحده الذى ينتزع عذرية القلب ، على نحو لا يتكرر ، ولا يمكن أن يتكرر قط ..

أو أن العبارة تعنى أن الحب الأول هو الحب الحقيقى ، الذى استقر أخيراً فى الوجدان ، وتغلغل فى الكيان ، بعد أن اختبر القلب الدنيا ، وخاض تجاربها ، ثم أدرك فى النهاية ما هو الحب !؟

وكيف يحب !

ومتى يدرك أنه أحب ..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، ما زلت عاجزاً عن الجزم ، بما كان يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط من عبارته ؛ إذ إنه وحده - رحمه الله - كان باستطاعته تحديد ما يرمى إليه ..

ولكننى ، وحتماً ، وبكل ثقة ، أختلف مع أستاذى تماماً ، فى اعتبار أن الحب الأول مجرد وهم ..

الحب الأول هو أول حب ..

ربما ينسى المرء من أحبها ، أو تنسى الواحدة من أحبته ، بعد أن يفصلهما القدر لسنوات وسنوات ، ولكنهما لو التقيا لحظة واحدة ، لانزاحت فى رأس كل منهما كل ذكريات الدنيا ، فيما عدا أن من أمام كل منهما حبه الأول ..

ربما يفتقر إلى العوامل القوية ، اللازمة لبقاء واستمرار أى حب ..

ولكنه لن يصبح أبداً أى حب ..

إنه أول حب ..

وما من قوة ، يمكنها أن تنتزع عنه هذا اللقب أبداً ..

هذا لا يعنى بالطبع أنه سيستمر ، أو يبقى ، أو حتى يترك أثراً فى قلب صاحبه ، ولكن من المؤكد أنه لن يمضى دون أن يترك خلفه ما يرشد إليه ، إذا ما دعت الحاجة إلى هذا ..

ربما يترك ضحكة ..

أو ابتسامة ..

أو حتى لمحة حزن ..

المهم أنه لن يذهب أبداً ..

فتشوا في أعماقكم بصدق وإخلاص ، وستكشفون أنني على

حق ..

حبكم الأول هناك ، في بؤرة مظلمة من أعماق قلبكم ،
ينزوي هناك صامتاً ؛ لأنكم تخشون مجرد استرجاعه ، حتى

لا يفسد هذا حبكم الحالي ..

أو حتى القادم ..

وأول حب في حياة الإنسان يمنحه نشوة ما بعدها نشوة في
حينه ، ثم ينتهي دوماً على نحو مباغت ، أو غير متوقع ..

فجأة ، يرتبط الطرف الثاني بآخر ..

أو يبتعد ..

أو حتى ينتقل إلى مكان آخر ..

المهم أن أول حب لا يمكن أن يستمر ، إلا في حالات بالغة
الندرة ، إلى حد يكاد يقارب المستحيل !

وهذا أمر حتمي ، حتى تستمر الحياة وتتواصل ..

لا بد أن يتجاوز الشخص - أي شخص - محنة الحب الأول هذه ،
فالأشخاص الذين يعيشونها أكثر مما ينبغي ، تصيبهم العقد النفسية ،
والمنغصات المعنوية ، ويبدأ حاضريهم ومستقبلهم في التآكل رويداً
رويداً ، فلا يعود لهم من حياتهم كلها سوى الماضي .. والماضي
وحده ..

وما لا يدركه هؤلاء المساكين هو أن مشكلة الحب الأول
الرئيسية هي المقاييس والمعايير ..

فالمقاييس التي يتم اختيار المحبوب الأول بها ، تتناسب حتماً
مع العمر الذي يتم فيه هذا الاختيار ..

ومع معايير مرحلة المراهقة ..

فمع تفتح زهرة القلب لأول حب ، تنتبه العين إلى المعايير
الشكلية في المقام الأول .. وتنبهر بسرعة ..

تنبهر بالجمال ، والوسامة ، ولون العينين ، ونعومة الشعر ..

لهذا نجد أن المراهق ينشغل دوماً بالجماليات ، والمراهقة تهيم
عشاقاً بكل وسيم ..

ولهذا أيضاً يبدأ الشباب فجأة في الاهتمام بشكلهم الخارجي ،
ورائحتهم ، وحلاوتهم ، وحتى خفة ظلمهم ..

ولأن مقاييس الاختيار هنا سطحية ومباشرة أكثر مما ينبغي، فمن غير المنطقي أو العملي أن يتواصل هذا الحب أو يستمر ..

حتماً سينهار وينتهي، مع أول شعاع من شمس النضج ..

أو حتى يتفتت تحت وطأة شكل أكثر وسامة، أو وجه أكثر جمالاً وحلاوة ..

وهنا يتلقى القلب أول صدمة عاطفية ..

صدمة فشل الحب ..

أو بمعنى أكثر دقة، صدمة حقيقة ذلك الحب الهش ..

ورد الفعل هنا مهم جداً ..

وخطير جداً ..

فقليلون هم من يتجاوزون هذه الصدمة بسرعة، ويلقونها خلف ظهورهم، ويمضون في حياتهم؛ ليعسوا جراح أول حب، إما بحب آخر، أو بعمل وجه ونشاط ..

أما الغالبية العظمى، فتقضى وقتاً طويلاً، في البكاء على الحب الوهمي الضائع، والعاطفة الزائفة المسكوبة ..

وبعد فترة - تطول أو تقصر - تتجاوز النسبة الأعظم، من المجموعة الأخيرة هذه المحنة ..

أما من يتبقى، فهو الضحية التي تستحق الرثاء بحق ..

الضحية التي ترفض الخروج من المحنة، وتتشبث بها، وتمضى شطراً طويلاً من عمرها في البكاء، والغضب، والنقمة على الطرف الآخر، الذي لم يدر أبداً - ربما - ما دار في قلبها يوماً ما ..

الضحية التي تهدر حاضرها ومستقبلها، من أجل حب وهمي مضى، فتتقم، وتحزن، وتثور، بل وربما تخطط للانتقام ما أيضاً ..

وكل هذا خطأ في خطأ ..

هذا لأن أول حب هو مجرد تجربة لنبض القلب، وتحرير المشاعر، وإشعال العواطف والأحاسيس ..

ولكنه ليس نهاية الحياة ..

إنه فقط البداية ..

البداية لقلب جديد، تجاوز على التو مرحلة مرح وعبث الطفولة، ووثب منها إلى مرحلة شباب وانطلاق وحرارة ..

مرحلة يأتي فيها حتماً حب آخر ..

وآخر ..

وآخر ..

وكلما مضت أيام العمر ، اختلفت مقاييس ومعايير الحب ،
وظهرت للقلب أنواع جديدة ، وألوان جديدة من الحب ، و...

ولهذا حديث آخر ؟

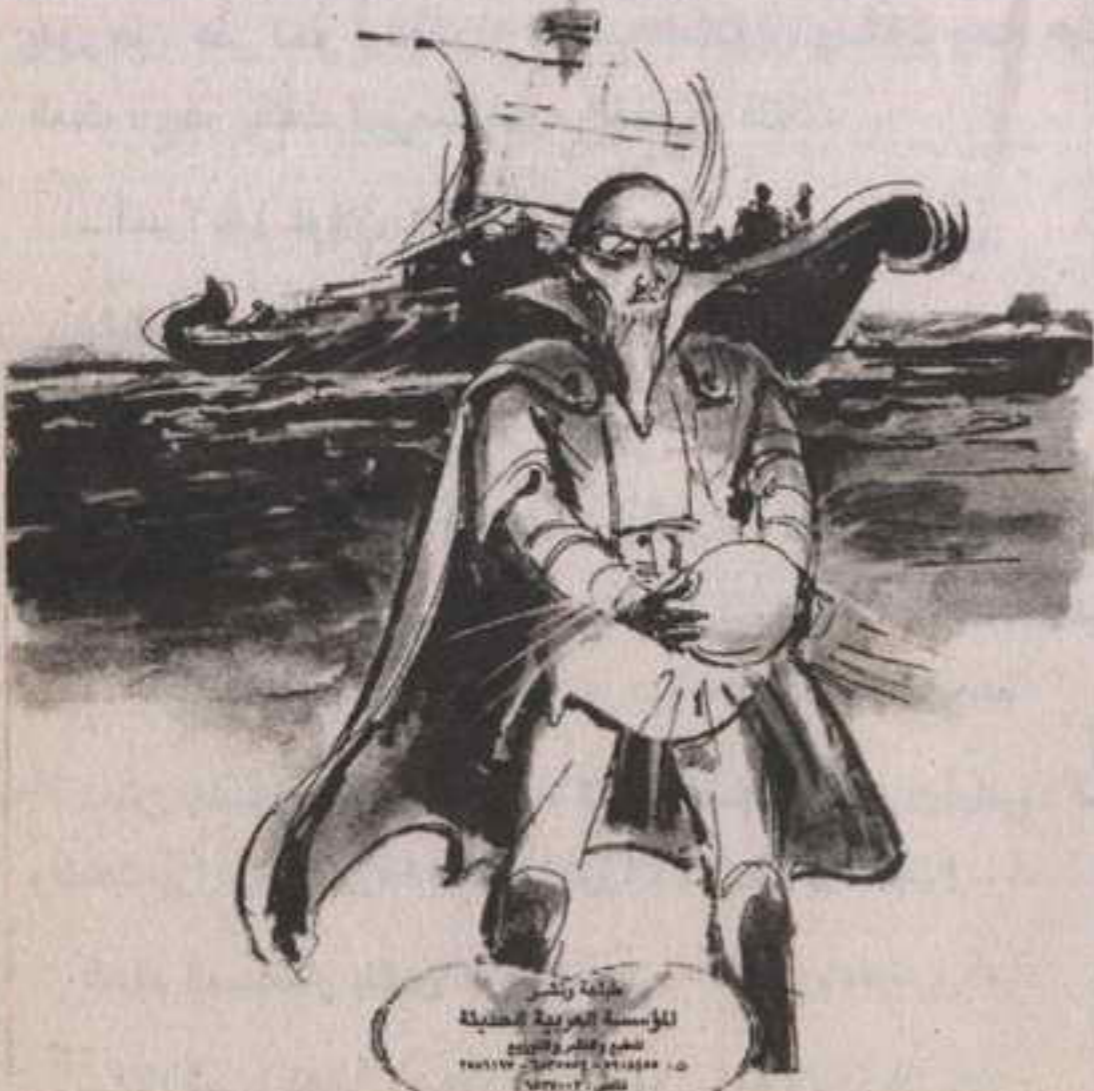
تابع في الكتب القادمة إن شاء الله

روايات ممرية الحب

كوكب
٢٠٠١

قصة العدد

الرحلة



طبعة ونشر
للأسسة العربية الصحفية
للطب والنشر والتوزيع
C. P. 1110 - Casablanca - Morocco
تلفون : 3393017

« انتصرنا .. »

أطلق ملك تلك البلاد البعيدة الهتاف ، فى قوة وزهو وظفر ، وهو يلوح بسيفه فى الهواء ، فوق قمة قصره المنيف ، فتفجرت الحماسة فى قلوب وخناجر فرساته ، وأطلقوا صيحات النصر بدورهم ، على نحو ارتجت له جوانب المكان ، وتألقت معه عينى الملك ، وهو يلتفت إلى مستشاره الخاص ، قائلاً :

- أخيراً يا (هولان) .

ابتسم المستشار فى رصانة ، قائلاً :

- أخيراً يا مولاي .

لوح الملك بسيفه إلى فرساته مرة أخيرة ، قبل أن يعيد السيف إلى غمده ويضع يده على كتف مستشاره فى مودة ، قائلاً ، وهو يقوده إلى الداخل :

- من يصدق أن تلك الحرب ، التى خاضها أجدادى وآبائى ، قد وضعت أوزارها أخيراً ؛ لتمنحنا فوزاً ، طال اشتياقنا إليه .

غمغم المستشار بنفس الرصانة :

- لكل شىء نهاية ، مهما طال الزمن يا مولاي .

وافقه الملك بإيماءة من رأسه ، وتنهيدة حارة ، انطلقت من أعماق صدره ، قبل أن يستقر على عرشه ، قائلاً :

- كانت رحلة طويلة للغاية يا (هولان) .. رحلة استهلكت كل مواردنا ، ولن تكون عملية إعادة البناء بأهون من الحرب نفسها .

قال المستشار فى هدوء :

- لكل رحلة بداية يا مولاي !

حاول الملك أن يسترخى على عرشه اللامع ، وهو يقول :

- نعم يا (هولان) .. لكل رحلة بداية .. لكل رحلة ..

لم يكد الملك يتم قوله ، حتى دلف حاجبه إلى المكان ، وانحنى ، قائلاً :

- مولاي .. القادة والنبلاء يودون تهنئتك بالنصر ، ويطلبون الإذن ؛ للمثول بين أيديكم .

أشار إليه الملك بإرهاق واضح ، قائلاً :

- ليس الآن .. أخبرهم أن مولاهم يرغب فى الحصول على قسط من النوم والراحة أولاً ، وأنه سيستقبلهم مع مغيب الشمس ..

انحنى الحاجب مرة أخرى ، وهو يقول :

- أمر مولاي .

ثم اعتدل ، وتوقف متردداً ، على نحو جعل (هولان) يقول فى صرامة :

- لمَ لمَ تتصرف يا هذا ؟

بدا الحاجب متوتراً مرتبكاً ، وهو يقول :

- معذرة يا سيدي المستشار .. معذرة يا مولاي الملك ، ولكن هناك أمر آخر .

اعتدل الملك على عرشه فى دهشة ، قبل أن يقول فى غضب صارم :

- أى أمر هذا ، الذى يدفعك إلى عدم طاعة أمر مولاك !؟

أسرع الحاجب يقول ، فى توتر بلا حدود :

- معذرة يا مولاي ، ولكن هناك غريب يلح فى طلب مقابلتكم ، ويقول : إن الأمر عاجل للغاية .

هتف به (هولان) فى غضب :

- كيف تجرؤ أيها الـ ...

اندفع الحاجب بغتة نحو الملك ، ووضع فى يده جسماً لامعاً ، وهو يقول فى ذعر وارتياح :

- سامحنى يا مولاي ، ولكن ذلك الغريب طلب منى أن أعطيكم هذا ، وأكد لى أنكم ستوافقون على مقابلته فوراً ، إذا ما طالعتموه .

اتعقد حاجبا (هولان) فى غضب هادر ، فى حين اعتدل الملك على عرشه ، وتطلع إلى ذلك الجسم اللامع فى حيرة ، قبل أن يقول فى توتر :

- وما هذا الشيء بالضبط !؟

استدار (هولان) فى فضول ، يتطلع إلى ذلك الجسم اللامع ، الذى امتدت إليه أصابع الملك فى حذر ، و ...

« مولاي .. امنحنى شرف مقابلتك .. »

انبعثت العبارة فجأة ، من ذلك الجسم اللامع ، فانتفض جسد الملك فى عنف ، وهباً من عرشه ، بكل توتر الدنيا ، فى حين تراجع (هولان) بحركة حادة ، هاتفاً :

- أى سحر هذا !؟

سقط الجسم اللامع أرضاً ، وتخرج بصوت مزعج ، على الأرض المصقولة ، قبل أن يستقر عند قدمى (هولان) ، وذلك الصوت ينبعث منه ، قائلاً :

- هذا ليس سحراً يا مولاي .. إنه جزء من تلك الكنوز الرهيبة ، التى تنتظر من يكشف عنها الغطاء ، فى الجانب الآخر من العالم ..

حنق الملك و (هولان) فى ذلك الجسم اللامع ، فى مزيج من الدهشة والارتياح ، فى حين ارتجف جسد الحاجب وصوته ، وهو يقول :

- إنه فى الخارج ، ينتظر سماحكم له بالدخول يا مولاي .

رفع الملك عينيه المذعورتين إلى (هولان) ، الذي بذل جهداً خرافياً ، للسيطرة على انفعالاته ، وهو ينقل بصره بين الملك ، والحاجب ، وذلك الجسم اللامع ، الذي توقّف اتبعات الصوت منه ، قبل أن يتنحج في توتر ، محاولاً السيطرة على أعصابه وصفاء ذهنه ، ثم يشدّ قامته ، قائلاً :

- أظن أنه من الحكمة أن تلتقى به يا مولاي .

قال الملك في توتر :

- ولكن ماذا لو أنه ساحر ، أرسله الأعداء لاغتيالى ، بعد أن أحرزت النصر عليهم !؟

استدار (هولان) إلى الحاجب ، قائلاً :

- أدخله ، في حراسة ثلاثة من أقوى قادة الجند وأشدّهم .

انحنى الحاجب ، بكل توتر الدنيا ، وهو يتراجع ، قائلاً :

- أمرك يا سيدي المستشار .. أمرك يا مولاي .

اعتدل الملك ، وتطلّع لحظة إلى (هولان) في توتر ، قبل أن يعود إلى عرشه ، ويجلس فوقه معتدلاً ، قائلاً في حزم :

- ينبغي أن يلتقى بنا ، ونحن في ذروة القوة والظفر .

انحنى (هولان) يلتقط الجسم اللامع في حذر ، قائلاً :

- بالتأكيد يا مولاي .. بالتأكيد .

كان يقلّب ذلك الجسم بين أصابعه في حيرة ، عندما دلف قادة الحرس الثلاثة الأقوياء إلى المكان ، يحيطون بذلك الغريب ..

وانعقد حاجبا الملك في شدة وتوتر ، في حين تفجّر ألف سؤال وسؤال ، في عقل المستشار (هولان) ، وهو يحدث فيهِ ..

فعلى الرغم من أن جسد الرجل بدا طبيعياً إلى حد كبير ، إلا أن وجهه ورأسه بدوا مختلفين ، على نحو واضح ..

كان الرأس أصغر مما ينبغي ، في حين كانت البشرة داكنة ، على نحو غير معتاد ، والعينان صغيرتان ضيقتان ، بصورة غير مألوفة ..

ولثوان ، حدّق الاثنان في ذلك الغريب ، دون أن ينبسا ببنت شفة ، في حين انحنى هو نصف انحناءة في احترام ، وهو يقول :

- (ربّان) في خدمتك يا مولاي .

انعقد حاجبا الملك أكثر ، في حين قال (هولان) في صرامة :

- ملامحك ولهجتك تقولان : إنك لست منا يا هذا .

اعتدل الغريب ، وهو يشير بيده ، قائلاً في احترام :

- الواقع أنني من بلاد بعيدة .. بعيدة جداً أيها الحكيم (هولان) ، ولكنني أتيت مسالماً ؛ لأعرض خدماتي على ملك البلاد .

أراد (هولان) أن يلقي سؤالاً آخر ..

بل عشرات من الأسئلة والاستفسارات ..

ولكن الملك قال فجأة ، فى صرامة بالغة ، تشوبها لمحة من التوتر :

- أية خدمات تلك ، التى تنوى عرضها علينا !؟

اعتدل الغريب ، ولوَّح بذراعيه فى حركة مسرحية ، قائلاً :

- فى البداية ، أحب أن أهنئك بانتصارك العظيم ، على أعداء بلادك أيها الملك ، وأن أؤكد لك تضامنى معك ، ومع أهدافك النبيلة العادلة ، و ...

قاطعته الملك فى حدة صارمة :

- هات ما لديك أيها الغريب .

ابتسم الغريب ، قائلاً :

- (ربَّان) يا مولاي .. (ربَّان) .

عاد حاجبا الملك ينعقدان فى حنى ، فقال (هولان) فى صرامة :

- مولاك الملك يكره التطويل والاستطراد .. هات ما لديك على الفور أو ...

قاطعته الغريب ، وهو يشير إلى الملك ، قائلاً :

- مجد عظيم ينتظرك هناك يا مولاي .. خلف المحيط الكبير .. مجد وثروات بلا حدود ، ستجعل منك ملك ملوك عالمك بلا منازع .

بدا الاهتمام على وجه الملك ، وهو يعتدل على عرشه ، قائلاً :

- مجد وثروات بلا حدود !؟ أى قول هذا أيها الغريب !؟ الكل يعلم أنه لا يوجد خلف المحيط الكبير سوى الموت ، والخراب ، والدمار .. كل السفن ، التى أبحرت إلى هناك ، غرقت وهلكت ، وسط الظلام والضياع .. كلها بلا استثناء .

هزَّ الغريب رأسه ، فى ببطء وثقة ، قائلاً :

- صدقتى يا مولاي .. خلف المحيط الكبير توجد أرض هائلة .. أرض تحوى ثروات لا حدود لها .. ثروات عجيبة مبهرة .. أحجار متكلمة ، كتلك التى بين يدي الحكيم (هولان) ، وأخرى يمكنك أن ترى فيها ما يحدث بعيداً عنك ، وثالثة تتيح لك التحدُّث مع الآخرين ، من مسافات هائلة ، ورابعة تصنع الثلج فى قبو قصرك ، وخامسة ، وسادسة ، وسابعة .. ثروات بلا حدود يا مولاي ، ستجعلك أعظم ملوك زمانك .

حدَّق فى فيه الملك بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (هولان) ، ويسأله :

- هل يمكنك أن تصدِّق هذا !؟

قال (هولان) فى صرامة :

- كل هذا يبدو أشبه بالسحر .

ابتسم الغريب ، قائلاً :

- السحر يمكن ممارسته فى أى مكان ، أيها الحكيم (هولان) ،
ولا توجد حاجة للانتقال عبر المحيط ، لفعل أمر كهذا .

تطلع إليه (هولان) ، بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسأله
فى صرامة :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط أيها الغريب !؟

شدّ الغريب قامته ، وهو يجيب ، فى سرعة وحزم :

- كل ما أريده هو سفينة واحدة ، وطاقم مختار من البحارة ؛ لنبحر
معاً عبر المحيط الكبير ، إلى تلك الأرض الجديدة .. حيث الكنوز
والثروات .

سأله الملك فى حدة :

- هل تطلب منا أن نضحى بسفينة جديدة ، وطاقم من أفضل
بحارتنا ؛ من أجل ما لا يمكن إثباته ، أو التأكد من وجوده !؟

قال الغريب فى حزم :

- الأرض الجديدة موجودة يا مولاي ، وذلك الحجر المتكلم ، بين
يدى الحكيم (هولان) ، هو دليل حى على وجودها ، ولقد حصلت
عليه من أحد سكان تلك الأرض البعيدة ، والذى قام بمغامرة مدهشة ؛
ليثبت وجود أرضنا ، ولكنه مات على سواحلنا ، تاركاً لنا هذا الدليل .



بدا الاهتمام على وجه الملك ، وهو يعتدل على عرشه ..

صمت الملك بضع لحظات ، قبل أن يسأل (هولان) :

- هل تبدو لك قصة معقولة ؟!

صمت (هولان) طويلاً ، قبل أن يلتفت إلى قادة الحرس الثلاثة ، قائلاً بلهجة أمرة :

- اصحبوه إلى الخارج .. أريد أن أحدث مولاي وحدنا . قاد الرجال الثلاثة الغريب إلى الخارج ، وهو يقول في ثقة :

- سأنتظر .

وفور خروجه ، تساعل الملك في اهتمام :

- ما رأيك ؟!

أجابه (هولان) في رصانة :

- قصته تبدو غريبة ، ولا يمكن المجازفة بتأكيد صحتها ، ولكن لا يمكننا المجازفة أيضاً بفقدان فرصة نادرة كهذه ؛ إذ إن امتلاكنا لأشياء كالتى يتحدث عنها ، والتي تشبه ذلك الشيء المتكلم ، ستضعنا على قمة ما حولنا من شعوب ، وتضمن لنا التفوق الدائم ، كما لا يمكننا المجازفة بذهابه إلى شعب آخر ، ومنحه ما لديه .

داعب الملك ذقته بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

- وماذا لو قتلناه ، ومنعناه من منح ما لديه لأى مخلوق آخر ؟!

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٩٥

هزاً (هولان) رأسه نفياً ، وقال :

- لا يمكننا أن نضمن أنه وحده يعلم هذا ، كما أننا لانضمن أن يبلغ الخبر أى ملك آخر ، فى وقت قريب ، فيسعى إلى ما رفضنا نحن السعى إليه ، ويمتلك ما أضعنا الفرصة لامتلاكه .

صمت الملك طويلاً ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يقول فى ببطء :

- إذن فأنت تحبذ منح السفينة والرجال .

وافقه (هولان) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- وفى أسرع وقت ممكن يا مولاي .

عاد الملك يداعب ذقته بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى توتر :

- وهل ترى أنه من الحكمة أن نرسل غريباً إلى أرض الثروات الرهيبة هذه ، دون ضمانات كافية ، تمنعه من الاستئثار بتلك القوة اللا محدودة ؟! ماذا لو منحته تلك الأشياء قوة هائلة ، تكفيه للسيطرة علينا ؟!

سأله (هولان) فى اهتمام :

- وماذا يقترح مولاي ؟!

اعتدل على عرشه ، قائلاً :

- أن أرسل معه شخصاً أثق به ، وبحكمته ، وقدرته على تبصُر الأمور وتدبيرها ، والسيطرة عليها إذا ما اقتضى الأمر ..

ثم مال إلى الأمام ، مستطرذاً في حزم صارم :

- أنت يا (هولان) .

وكانت مفاجأة ..

حقيقية .

★ ★ ★

٢- الحكيم ..

انتشرت الغيوم الكثيفة في السماء ، والتفت بالمحيط الكبير عند الأفق ، الذي تطلع إليه الحكيم (هولان) في صمت ، وهو يقف على متن السفينة الكبيرة ، التي تبهر بلا توقف ، منذ خمسة أيام كاملة ، وبدت الرياح هادئة مواتية ، تملأ الأشرعة ، وتدفع السفينة في اتزان وسرعة ، في الوقت الذي اتجه فيه الغريب إلى حيث يقف الحكيم ، وقال في هدوء :

- وفقاً لحساباتي ، سنبلغ الهدف ، خلال يوم واحد على الأكثر .

رمقه (هولان) بنظرة جانبية ، وهو يقول في حذر :

- يُدهشني أن يمكنك التقدير بهذه الدقة ، فمراقبتى لك ، خلال الأيام الخمسة الماضية ، تؤكد لى أن خبرتك في الإبحار محدودة للغاية .

استند الغريب إلى حاجز السفينة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- بل يمكنك أن تقول : إننى لا أملك أية خبرة في الإبحار على الإطلاق ، ولهذا احتجت إلى الرجال ، الذين يمتلكون الخبرة في هذا الأمر .

سأله (هولان) ، فى شىء من الصرامة :

- كيف يمكنك تقدير الزمن إذن ؟!

أجابه الغريب ، فى سرعة وحزم :

- لدى أساليبي .

كان سيكتفى بهذا القول المقتضب ، لولا تلك النظرة المتوترة ،
التي أطلت من عيني (هولان) ، والتي جعلته يكمل فى هدوء :

- إنه أمر يرتبط بسرعة الإبحار ، وقوة الرياح ، و ...

قاطعته (هولان) فى حدة :

- وماذا ؟!

أدار إليه الغريب عينيه فى بطء ، فتابع (هولان) فى صرامة :
- ما تقوله أمر لا مثيل له ، ولم نسمعه من قبل قط ، حتى من
علمائنا وحكمائنا ، مما يثير فى نفسى تلك الشكوك والتساؤلات
القديمة .

ثم استدار إليه بجسده كله ، متابعاً :

- من أنت بالضبط ؟! ومن أين أتيت ؟!

التقط الغريب نفساً عميقاً ، وتطلع إلى الأفق طويلاً فى صمت ،
قبل أن يقول :

- هل سأظل أجيب عن هذا السؤال إلى الأبد ؟!

قال (هولان) فى صرامة :

- ما لم تمنحني جواباً شافياً له !

صمت الغريب بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى بطء حذر :

- كل ما يمكننى قوله ، هو أنني قد أتيت من بلاد بعيدة ، لم تصلوا
إليها ، أو يمكنكم حتى تصورها من قبل .

سأله (هولان) فى صرامة :

- أهي نفس البلاد ، التي نتجه إليها ؟!

صمت الغريب طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب ، فى حزم مقتضب :

- كلاً .

همَّ (هولان) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الغريب اعتدل فجأة ،
وقال فى شىء من الصرامة :

- أعتقد أن لدى ما يجب القيام به ، فى هذه المرحلة من
الرحلة .

قال (هولان) فى توتر :

- أهي وسيلة للفرار من إجابة تساؤلاتي ؟!

تطلع إليه الغريب فى هدوء ، قائلاً :

- يمكنك تفسير الأمر ، كما يحلو لك .

قالها ، واندفع نحو كابينة الخاصة ، وأغلقها خلفه فى إحكام ،
فغمغم (هولان) فى توتر :

- إنك تخفى شيئاً أيها الغريب .. تخفى ما سأبذل قصارى جهدى
لمعرفته .

ثم اتجه نحو قبطان السفينة ، وسأله فى اهتمام :

- هل تعرف إلى أين نبحر بالضبط !؟

بدا صوت القبطان متوتراً ، على نحو ملحوظ ، وهو يقول :

- كلاً .. إنها أوّل مرة أبحر فيها ، دون معرفة هدفى بالتحديد ،
وذلك الغريب ، ذو الوجه العجيب ، يحدّد مسار الرحلة بدقة مثيرة
للحيرة ، كما لو أنه يعرف هدفه جيّداً ، ولولا هدوء البحر ،
وموازرة الرياح لنا ، طوال الأيام السابقة ، لفقدت السيطرة على
الرجال ، الذين بدعوا يرددون فيما بينهم ، أن المحيط الكبير قد
ابتلع كل من جرف على تحديه ، وأن أحداً لم يعد منه قط ؛
ليشرح ما يواجهه البحارة فيه ، وبعضهم يخشى أن تهاجمنا
الوحوش من أعماقه ، فى مرحلة ما ..

غمغم (هولان) :

- مجرد شائعات .. لا أحد عاد ليؤكد وجود تلك الوحوش
الأسطورية .. لا أحد .

قال القبطان فى توتر :

- ولا أحد نفى وجودها أيضاً .

كان الضوء ينخفض فى الأفق ، على نحو ملحوظ ، من خلف
الغيوم الكثيفة ، فقال (هولان) فى قلق ، لم يفارقه قط ، منذ
أبحرت السفينة :

- الأيام القادمة ستجيب عن كل تساؤلاتنا .

مطّ القبطان شفّتيه ، وهو يغمغم فى عصبية :

- أو تبتلعنا ، مثلما ابتلعت كل من قبلنا .

لم يحاول (هولان) التعليق على قوله ، وهو يدير الأمر فى
رأسه مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وفى كل مرة ، كان قلبه يشعر بالقلق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

الغريب يبدو واثقاً للغاية من هدفه ..

ومن قدرته على الوصول إليه ..

لا أحد يعلم كيف ..

أو حتى لماذا؟!؟

هناك غموض شديد عجيب ، يحيط بكل شيء ، منذ بدأت هذه الرحلة ..

الغريب يجهل الملاحة تمامًا ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يرسم خط سير السفينة بمنتهى الدقة ، كما لو أنه يحفظ ذلك المحيط الكبير عن ظهر قلب ، أو أبحر فيه مرات ومرات ..

وهناك حيرة أيضًا تحيط به ..

حيرة تتعلق بملامحه ، التي تختلف كثيرًا عن ملامح الآخرين .. ملامحه ، التي تثير قلق البحارة ، وخوفهم ، وحذرهم أيضًا .. يقول : إنه قد جاء من بلاد بعيدة ..

بعيدة جدًا ..

ولكن هذا لا يفسر ذلك الاختلاف الكبير في ملامحه ..

ولا يفسر معارفه الكثيرة أيضًا ..

معارفه ، التي تفوق معارف أكبر الحكماء ، في هذا الزمان ..

اختفى الضوء تمامًا في الأفق ، وهبط الظلام ؛ ليحيط بكل شيء ،

وليضاعف من توتر الموقف وقلقه ، و ...

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٠٣

وفجأة ، غادر الغريب كابينته ، وهو يقول في حزم :

- هناك عدد من الجزر الغارقة ، ستواجهنا بعد قليل .

التفت إليه البحارة في توتر عصبى حائر ، في حين سأله القبطان في حدة :

- ما الذي تقصده بمصطلح الجزر الغارقة هذا؟! إني قبطان منذ زمن طويل ، ولم أسمع هذا التعبير قط .

بدا الغريب هادئًا واثقًا ، وهو يقول :

- الجزر الغارقة هي كتل صخرية ، تختفي تحت سطح الماء ، وتبرز منها أطراف صغيرة ، لا يمكنك أن تلاحظها بالعين المجردة ، وبخاصة في مرحلة الظلام ، وهذا مكن خطورتها ، عندما تصطم بها السفن ، فتتحطم قيعاتها ، وتغوص ببحارتها في الأعماق .

التقى حاجبا (هولان) ، وهو يقول :

- أتعني أن هذا ما أصاب السفن السابقة؟!؟

أجابه الغريب في صرامة وحزم :

- ربما .

بدا القلق الشديد على البحارة ، وهتف أحدهم في انزعاج :

- فلنتوقف إن ، قبل أن نصطم بها ، ونلقى مصير من سبقنا إليها .

شدّ الغريب قامته ، قائلاً في حزم :

- كلاً .. لن نتوقّف .. سنضىء طريقنا فحسب ، حتى يمكننا أن نتفادى الاصطدام .

قال القبطان في صرامة :

- كل مشاعل الدنيا لن تكفى ؛ لنضىء الطريق أمامنا ، في قلب الظلام الدامس .

بدت ابتسامة الغريب غامضة ، وهو يقول :

- ومن تحدّث عن المشاعل !؟

ثم غاب في كابينته لحظة ، عاد بعدها حاملاً كرة من الزجاج ، وهو يضيف :

- سنستخدم هذا .

تطلّع الجميع إلى الكرة الزجاجية في حيرة ، في حين تساعل (هولان) ، وهو يتابع الغريب ، الذي توجه بها إلى مقنمة السفينة :

- وما هذا بالضبط !؟

لجأب الغريب ، وهو يثبت الكرة في مقنمة السفينة ، في إحكام شديد :

- هذا واحد من الكنوز العديدة ، التي تنتظرنا هناك ، في الأرض الجديدة يا رجال .

نطقها ، ثم اعتدل ، وراجع كل الأمور في سرعة ، قبل أن يضيف :

- أغلقوا عيونكم ، واحبسوا أنفاسكم ، فما سترونه الآن لم تروه من قبل قط ، حتى في أحلامكم .

لم يدر أحدهم ما الذي فعله بعدها بالضبط ، ولكن فجأة ، سطع الضوء من تلك الكرة الزجاجية ..

سطع بقوة تغمشى الأبصار ، وسط ذلك الظلام المحيط بالسفينة ، ليضىء مقدمتها ، ومسافة ضخمة من قلب المحيط الكبير أمامها ..

وبكل انبهار الدنيا ، شهق الجميع ..

البحارة ..

والقبطان ..

وحتى الحكيم (هولان) نفسه ..

أما الغريب ، فقد ظلّ هادئاً واثقاً ، كما لو أنه قد أتى أمراً ، اعتاد القيام به دوماً ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- بهذا سنرى كل الأجزاء البارزة ، ونتفادى الارتطام بها تماماً .

ظل الكل مبهوراً صامتاً بضع لحظات ، قبل أن يتساعل القبطان في توتر :

- وماذا عن الأجزاء المخفية تحت السطح !؟

أجابته الغريب في حزم ، وهو يتجه إلى كابينة :

- اترك أمرها لي .. سأقودك عبرها .

وتوقف عند باب الكابينة ، والتفت إلى (هولان) ، مستطرداً ،
بابتسامة أكثر غموضاً :

- بوسائلى الخاصة .

وأغلق الباب خلفه في هدوء ، فهتف أحد البحارة بصوت مرتجف :

- من هذا الرجل بالضبط !؟

هتف آخر :

- يلوح لى أنه الشيطان نفسه ، جاء يقودنا إلى قلب الجحيم .

قال ثالث فى ارتياح :

- بل هو ساحر .. ساحر عظيم .. أرسله مولانا الملك ؛ ليقود

رحلتنا عبر المحيط الكبير ؛ حتى لانلقى مصير من سبقنا .

ووثب رابع إلى حيث يقف الحكيم (هولان) ، وتشبث بذراعه ،

هاتفاً فى انفعال :

- من هذا الرجل أيها الحكيم !؟ من هو !؟

أزاح (هولان) يد البحار ، وهو يبحث عن الجواب فى ذهنه ،
قبل أن يقول فى حزم :

- هذا الرجل هو الذى وعدكم مولانا الملك بمكافآت وإنعامات
سخية ، لو ساعدتموه على إنجاز مهمته ، وعبور المحيط الكبير ،
إلى أرض الثروة والقوة ..

ثم أشار إلى تلك الكرة المضيئة ، مستطرداً :

- القوة ، التى ترون عينة منها هنا .

وشد قامته ، هاتفاً فى صرامة :

- فهل ستضيعون أوامر مولاكم الملك !؟

انطلقت صيحة هائلة من حلقهم ، تؤيد مليكهم ، وتعلن الولاء له ،
فشد (هولان) قامته أكثر ، وهو يقول فى قوة :

- أدوا عملكم ، وسيضاعف مولانا الملك مكافآتكم وعطاياكم .

ارتفع هتافهم مرة أخرى ، وأنستهم المكافآت المنتظرة توترهم
وخوفهم ، ودفعهم إلى التعامل مع الموقف فى حماسة ، مع اتبهارهم
بتلك الكرة المضيئة ، التى أنارت المحيط المظلم أمامهم ..

أما (هولان) فقد اتخذ ركناً مجاوراً لكابينة الغريب ، وعقله يعيد
دراسة الموقف ، ربما للمرة الألف ، وهو يطرح على ذهنه أسئلة عديدة ..

وجديدة ..

ومديدة ..

و ...

« هاهى ذى الجزر الغارقة ! »

هتف أحد البحارة بالعبارة ، وهو يشير إلى قمم الصخور الحادة ، البارزة من تحت سطح الماء ، فهبَّ الجميع لرؤيتها ، والقبطان يصيح بهم :

- اتخذوا أماكنكم .. استعدوا للمناورة .

ثم صاح فى حدة :

- أين ذلك الغريب ؟! قال إنه سيقودنا عبرها .

أتاه صوت الغريب ، وهو يقول فى حزم :

- أنا هنا .. اطمئن .

ثم جذب إليه أحد البحارة ، مستطرذاً فى صرامة :

- قف هنا ، عند باب الكابينة ، وانقل كل ما أهتف به إلى القبطان فوراً .. هل تفهم ؟!

أجابه البحار بالإيجاب فى توتر ، ووقف عند باب الكابينة ، التى اختفى الغريب داخلها ، وهتف :

- خمس درجات إلى اليمين .

نقل البحار الهتاف إلى القبطان ، الذى نفذ المناورة على الفور ، قبل أن يأتیه هتاف آخر :

- سبع عشرة درجة إلى اليسار .

التقى حاجبا (هولان) فى شدة ، مع توالى الهتافات ، التى راحت تقود القبطان ، وسط تلك الجزر الغارقة ، على نحو بالغ الدقة ، جعل القبطان نفسه يهتف مبهوراً :

- كيف يفعلها هذا الرجل ؟! إنه يبدو كما لو أنه يحفظ المحيط عن ظهر قلب !!

ازداد التقاء حاجبى (هولان) ، وهو يقول :

- نعم .. كيف يفعلها ؟!

لم يستطع منع ذلك الفضول الرهيب ، الذى سرى فى عروقه ، مع تواصل هتافات الغريب ، من داخل كابينته ، و ...

وفجأة ، ودون سابق إنذار ، اندفع (هولان) نحو كابينة الغريب وافتحمتها فى حدة ، و ...

وتوقف مبهوراً مشدوهاً ..

فهناك ، داخل الكابينة .. كان الغريب يجلس ، أمام مستطيل من مادة عجيبة يشع من منتصفها ضوء أخضر اللون ، عبر لوح من الزجاج ، تتحرك فوقه أشياء صغيرة مدهشة ..

وكان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمله عقل (هولان) ..

أكثر بكثير ..

ثم أدار عينيه إلى كابينة الغريب ، التي اقتحمها (هولان) منذ قليل ، وتساءل في أعماقه : ترى ما الذي يحدث في الداخل الآن ؟!

ماذا يحدث ؟!

ماذا ؟!

في نفس اللحظة ، التي دار فيها التساؤل في ذهنه ، كان الغريب يضغط جانب ذلك الإطار العجيب ، ويطلق الضوء المنبعث من قطعة الزجاج في منتصفه ، وهو يستدير إلى (هولان) ، الذي لم يفارقه ذوله وانبهاره بعد ، قائلاً بنفس الهدوء العجيب :

- ألا تنصّ قواعد اللياقة عندكم على أن يطرق المرء الباب ، قبل الدخول إلى مكان لا يخصّه .

انتفض (هولان) ، وهو ينتزع نفسه من انفعاله ، وهتف في صرامة :

- هذه السفينة ، بكل ما عليها ومن عليها ، ملك لمولاي الملك .

أحنقته تلك الابتسامة الساخرة ، التي ارتسمت على شفتي الغريب ، وهو يقول :

- هذا لا يمنع من ضرورة أن تطرق الباب .

سأله (هولان) ، وهو يشير إلى الإطار العجيب في توتر :

- ما هذا الشيء بالضبط ؟!

٣ - القبطان ..

« لقد تجاوزنا منطقة الخطر .. »

هتف القبطان بالعبارة ، في ارتياح وانبهار ، وهو يقود السفينة ، خارج منطقة الجزر الغارقة ، ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يتابع في انفعال :

- هذا الرجل مدهش بحق ! إنه يقودنا بمنتهى الثقة ، عبر منطقة لم نعرفها من قبل قط .

قال أحد البحارة في توتر :

- قلت لكم : إنه ساحر .

هتف القبطان في حرارة :

- لو أنه ساحر ، فهو يعمل إلى جوارنا .. وهذا من حسن حظنا .

سأله بحار آخر :

- هل تعتقد أنه هناك بالفعل أرض جديدة ، وأنه سيقودنا إليها ؟!

تطلع القبطان إلى الكرة المثبتة في مقدمة السفينة ، والتي تضيء المحيط أمامه لمسافة شاسعة ، قبل أن يقول في حزم :

- مارأيك أنت ؟!

أجابه الغريب ، وهو يتراجع في مقعده ، بنفس الهدوء المستفز :

- لن يعنيك أن تعرف ؛ لأنك لن تفهمه أبدًا .

قال (هولان) في عصبية :

- أنا مصرّ على المعرفة .

تطلّع إليه الغريب طويلاً في صمت ، قبل أن يقول :

- إنه أحد الكنوز ، التي تنتظرنا هناك ، في الأرض الجديدة .

هتف (هولان) :

- بل هذا سحر مبين .

هزّ الغريب رأسه نفياً ، وقال :

- كلاً .. إنه ليس كذلك ، إلا أن هذا ما سيبدو لكم حتماً .

التقى حاجبا (هولان) وهو يميل نحوه ، متسائلاً في توتر :

- من أنت بالضبط !؟

ابتسم الغريب ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- الواقع أنني قد سئمت هذا السؤال ، أيها الحكيم (هولان) .

هتف به (هولان) :

- وأنا سئمت مراوغتك في الإجابة عنه بصراحة .



في نفس اللحظة التي دار فيها التساؤل في ذهنه ، كان الغريب يضغط جانب ذلك الإطار العجيب

لأن الغريب بالصمت بعض الوقت ، وكأنما يدير الأمر في رأسه ، قبل أن يسأل (هولان) في هدوء :

- ما الذى يثير توترك على هذا النحو أيها الحكيم !؟

أجابه (هولان) ، فى سرعة وحدة :

- كل شيء ..

ثم التفت نفساً عميقاً ، محاولاً تهدئة أعصابه ، وهو يضيف :

- أقسم إننى قد شاهدت الشياطين الصغيرة ، تتقاذف على سطح لوح الزجاج المضىء هذا .

ابتسم الغريب ، وهو يقول فى سخرية :

- الشياطين الصغيرة !؟

صاح (هولان) فى حدة :

- بالطبع .. من غيرها يمكن أن يضىء وينطفئ ، ويعدو عابثاً هكذا ، فوق لوح زجاجى ، يتوسط إطاراً عجيباً كهذا !؟

قال الغريب فى هدوء :

- إنه ليس إطاراً عجيباً ! إنه شيء مفيد .. مفيد جداً .

تطلع (هولان) إلى الإطار فى توتر ، قائلاً :

- من أى شيء تم صنعه !؟

صمت الغريب طويلاً هذه المرة ..

طويلاً جداً ..

صمت ، وهو يتطلع إلى (هولان) مباشرة ، دون أن يرفع عينيه عنه ، وكأنما يدير أمراً ما فى رأسه ، قبل أن يقول فى هدوء :

- من الواضح أنك شخص ذكى للغاية يا (هولان) .

قال (هولان) فى حدة :

- وأنت شخص غامض للغاية أيها الغريب .. كل شيء فىك عجيب وغير مألوف .. وجهك .. ملامحك .. وحتى أصابع يديك ، التى تنقص إصبعاً عن المألوف .

قال الغريب فى بطء:

- يمكنك اعتبار هذا نوعاً من التطور الجنينى ، غير المألوف هنا .

قال (هولان) فى دهشة عصبية :

- التطور الماذا !؟

ثم اندفع يضيف فى حدة :

- هذا يبدو لى أشبه بالتحوّرات ، فى عالم السحرة .

وخطا إلى الأمام بحركة عصبية ، وهو يشير إلى رأس الغريب ، مستطرداً فى توتر :

- وكذلك تلك النقاط السوداء ، التى تنتشر فى رأسك .

عاد الغريب يتطلع إليه في صمت طويل ، ثم لم يلبث أن مال نحوه فجأة ، وهو يقول في حزم :

- قل لي أيها الحكيم (هولان) : لماذا تتعامل معي بهذا العداء !؟

جاء السؤال مباغتًا ، على نحو تراجع معه (هولان) بحركة حادة ، قبل أن يقول في توتر :

- لأنني لا أثق بك .

سأله الغريب بسرعة :

- لماذا !؟

قال (هولان) في حدة :

- لأن كل شيء فيك عجيب ، ولا يدعو إلى الارتياح على الإطلاق .

تراجع الغريب في مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

- لماذا تواصل الرحلة معي إذن !؟

قال (هولان) في غضب :

- لأن هذا ما يريد مولاى الملك ، و ...

قاطعته الغريب بغتة :

- هراء .

اتسعت عينا (هولان) في شدة ، فتابع الغريب في صرامة :

- إنك تواصل الرحلة ؛ لأنك تؤمن بأننى سأقودكم إلى شيء يفوق إدراككم .. شيء سيحقق لكم التميز على باقى الممالك المحيطة بكم ، ويضمن لكم التفوق عليها ، لعقود طويلة من الزمان .

شعر (هولان) بالسخط والحنق ؛ لأن الغريب قد كشف ما يدور فى أعماقه ، على هذا النحو ، وقال فى توتر :

- فليكن .. إننى مضطر لمواصلة الرحلة معك ، ولكننى لا أثق بك قط .. لا تعارض بين هذا وذاك .

هزَّ الغريب كتفيه ، وقال :

- هذا لا يضايقتنى .. ثق بى ، أو لا تثق على الإطلاق ، المهم أن تواصل الرحلة .

مطَّ (هولان) شفثيه الرفيعتين ، وهو يقول فى انفعال :

- هل تحتفظ فى جعبتك بعجائب أخرى !؟

أجابه الغريب ، بابتسامة غامضة :

- ربما .

قال (هولان) فى عصبية :

- ربما نعم ، أم ربما لا !؟

مال الغريب إلى الأمام ، قائلاً :

- كلمة ربما تفيد الاحتمالين أيها الحكيم .

انفجرت شفتا الحكيم ؛ ليقول شيئاً ما ، ولكن قبل أن يخرج حرف واحد من بين شفتيه ، انطلقت من فوق السفينة صرخة هادرة :

- النجدة ! الوحش !

انتفض جسد (هولان) ، وهو يردد في ذهول مذعور :

- الوحش !؟

قالها ، واندفع خارج كابينة الغريب ، و ...

وكان المشهد رهيباً بحق ..

البحارة كانوا يعدون على سطح السفينة ، بكل رعب الدنيا ، في حين برزت من سطح البحر كرة هلامية ضخمة ، لها عين واحدة كبيرة ، وأذرع رفيعة طويلة ، راحت تطارد البحارة على نحو رهيب مخيف ..

أما البحار ، فكان يتشبث بالدفة ، صائحاً في توتر بالغ :

- لا تهربوا .. السفينة تفقد توازنها .. استخدموا سيوفكم أيها

الجناء ! استخدموا سيوفكم .

ولكن كان من العسير أن يستمع البحارة المذعورون لصيحاته ، بعد أن التفت تلك الأذرع الرفيعة حول اثنين منهم ، وجذبتهم إلى تلك الكتلة الهلامية الضخمة ، ثم لم تلبث أن غمرتهم في الماء ، وباقى الأذرع تواصل سعيها ، خلف البحارة الآخرين ..

كان من الواضح أن ذلك الكائن يُغرق ضحاياه ، تحت سطح المحيط ؛ حتى يتسنى له التهامهم فيما بعد ، عندما ينتهي هجومه ..

وعلى الرغم من الموقف الرهيب ، ظلّ القبطان يدير الدفة ، محاولاً الابتعاد عن ذلك الكائن الهلامي الضخم ، وهو يهتف :

- ابتعد أيها الوغد .. اتركنا لحالنا .. اترك بحارتى .. اذهب .

لم يكذب يتم هتافه ، حتى التفت إحدى الأذرع الرفيعة حول ساقه ، وجذبتة نحو حاجز السفينة في حركة حادة ، جعلته يفلت الدفة على الرغم منه ، فصرخ ، وهو يستل سيفه :

- الدفة .. السفينة ستفقد توازنها ، و ...

ولم يكن قد أتم عبارته ، عندما هوت تلك الصاعقة فجأة ..

لم تكن صاعقة بالمعنى المفهوم ، وإنما هي حزمة من ضوء مبهر ، انطلق في خط مستقيم ؛ ليصيب تلك الذراع الرفيعة ، التي يلتف طرفها على ساق القبطان ..

ويقطعها في عنف ..

ومع ذلك الصوت الرهيب ، الذي اقترن بتلك الصاعقة ، والذي يشبه فحيح ألف أفعى ، توقّف البحّارة فجأة ، والتفتوا إلى كابينة الغريب ، فى ذهول مبهور ..

أما ذلك الكائن الهلامى الرهيب ، فقد أدار عينه الواحدة الضخمة إلى الغريب فى غضب ، ثم جمع أنرعه كلها ، وكأتما يستعد لتوجيهها كلها إلى خصمه الجديد ، الذى أفقده واحدة منها ..

ولكن الغريب ظلّ هادئاً واثقاً ، وهو يرفع شيئاً معدنياً فى يده ، ويصوبه إلى العين الواحدة الكبيرة ، ثم يضغط جزءاً منه ..

وانتفضت أجساد الجميع ، عندما انطلقت حزمة ضوء أخرى ، من قمة ذلك الشيء المعدنى ، بنفس الصوت الشبيه بالفحيح ..

انطلقت ؛ لترتطم بعين ذلك الكائن الهلامى الرهيب ، وتنسفها فى مشهد مخيف ، قبل أن تنسف الكتلة الكروية كلها ..

وشهق البحّارة ، عندما تتناثر سائل ساخن لزج ، من الكائن الهلامى ، على أجسادهم ووجوههم ، وعلى سطح السفينة كله تقريباً ..

ولكن الكائن نفسه هبط إلى أسفل ، وغاص فى مياه المحيط ، وهو يفلت ضحيتيه السابقتين ..

وبنفس الهدوء ، خفض الغريب يده الممسكة بصانع الصواعق ، واستدار إلى القبطان ، قائلاً :

- هل الجميع بخير !؟

حدّق القبطان فى وجهه بدهشة ، ثم هبّ واقفاً ، واندفع نحو حاجز السفينة ، وتطلّع إلى البحارين ، اللذين أفلتتهما أذرع الكائن الهلامى ، بعد أن صدعته حزمة الضوء الصاعقة ، وقد برزا إلى السطح ، وراحا يملآن صدريهما بالهواء ، غير مصدقين أنهما قد نجوا ، بعد أن كانا قاب قوسين أو أدنى من الفرق ، ثم التفت إلى الغريب ، وقال بأنفاس لاهثة ، من فرط الانفعال :

- نعم .. كلنا بخير .

بدا الارتياح فى وجه الغريب وصوته ، وهو يقول :

- عظيم .

ثم استدار عائداً إلى كابينته ، ولكن القبطان استوقفه ، وهو يهتف فى حزم :

- انتظر أيها الغريب .

استدار إليه الغريب فى هدوء ، فاتجه نحوه فى خطوات ثابتة ، وتبعه باقى البحّارة فى صمت ، على نحو ألقى (هولان) ، الذى تراجع فى توتر حذر ..

« لقد أنقذت حياتنا جميعاً .. »

نطق القبطان العبارة في حسم ، فشدّ الغريب قامته ، قائلاً :

- كان من الضروري أن أفعل .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بابتسامة هادئة :

- فهذا ينقذ حياتي أيضاً .. أليس كذلك !؟

شدّ القبطان قامته بدوره ، وهو يجيب :

- كلاً .. ليس كذلك .

تضاعف قلق (هولان) وتوتره ، وخيّل إليه أنه يشهد بداية

تمرد بحرى عنيف ، فهتف في عصبية :

- تذكروا أنكم تعملون ، في خدمة مولانا الملك .

أشار إليه القبطان بالصمت في صرامة ، ثم عاد يلتفت إلى

الغريب ، وهو يقول :

- لو أن ما تقوله صحيح ، لما تساءلت عن مصير الجميع ، بعد

أن أزحت الخطر ، فلا يفعل هذا سوى شخص نبيل .

هتف أحد البحارة :

- هذا صحيح .

وأضاف آخر في حزم :

- أو ساحر طيب .

غمغم ثالث :

- المهم أنه ليس شيطانياً .

أسكتهم القبطان بإشارة من يده ، قبل أن يقول في حزم :

- لهذا ، نحن ندين لك جميعاً بحياتنا .

ثم اعتدل ، هاتفاً :

- أيها الرجال ..

مع آخر هتافه ، انحنى الجميع في حركة واحدة أمام الغريب ،

الذى بدا ، ولأول مرة مرتبكاً ، وهو يقول :

- لا .. لا تنحنوا أمامى .. المرء لا ينبغي أن ينحني إلا لـ ...

قاطعته (هولان) في حزم :

- للملك .

هزّ الغريب رأسه ، قائلاً :

- بل لمالك كل الملوك .

قالها ، واستدار ليدلف إلى كابينته ، ويطلق بابها خلفه ، فاعتدل

القبطان ، هاتفاً :

- هيا .. فليعد كل منكم إلى موضعه .. سنواصل الإبحار .

اندفع الرجال ، كل إلى موقعه بالفعل ، فالتقى حاجبا (هولان) ،

وهو يتجه نحو القبطان ، الذي عاد إلى الدفة ، ووقف إلى جواره
بضع لحظات في صمت ، قبل أن يسأله :

- هل تثق به ؟

أوما القبطان برأسه إيجابًا ، وقال في حزم :

- لقد أنقذ حياتنا .

أجابه (هولان) في توتر :

- أنقذ حياتكم من خطر ، قادم بنفسه إليه .

تطلع إليه القبطان بنظرة جانبية ، قبل أن يعود بنظره إلى
الأمام ، قائلاً :

- أسلوبك هذا يؤكد أنك لا تثق به .. أليس كذلك ؟!

غمغم (هولان) في توتر :

- لا أتق بهدفة .

صمت القبطان بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

- هل رأيت ذلك الشيء ، الذي أطلق منه الصواعق ، التي
سحقت الوحش ؟!

قال (هولان) في حذر :

- كلنا رأيناه .

سأله القبطان :

- ألا تعتقد أنه ، بسلاح كهذا ، كان بإمكانه أن يسيطر على كل
شيء .. حتى على قوات مليكنا نفسه ، وأن يجبرنا على القيام
بهذه الرحلة ، على الرغم منا ؟!

تردد (هولان) لحظة ، قبل أن يجيب ، في حذر أكثر :

- الواقع أنه لو استبعدنا ..

ولكن القبطان عاد يسأله ، في حزم شديد :

- ألم يكن بإمكانه هذا ؟!

صمت (هولان) لحظة ، ثم أجاب في ضيق :

- بلى .

هز القبطان رأسه ، وقال في حزم :

- مادام لم يفعل ، فهو رجل جيد حتمًا .

انعقد حاجبا (هولان) في توتر ، وغمغم :

- ربما ..

ودون أن يضيف كلمة أخرى ، اتجه نحو قمرة ، مضيفًا في
صرامة ، وكأنما يحاول استعادة مكانته :

- أيقظوني ، إذا ما جدّ جديد .

تابعه القبطان ببصره ، حتى اختفى داخل السفينة ، ثم هز رأسه ، مكرراً في حزم :

- إنه رجل جيد حتماً .

لم يدركم واصل قيادة السفينة بعدها ، في قلب المحيط الكبير ، إلا أن الضوء لم يلبث أن لاح في الأفق ، ثم تصاعد في سرعة ، من خلف الغيوم الكثيفة ؛ ليملاً المكان كله ، ويكشف المحيط الممتد إلى ما لا نهاية ، دون أن تلوح في الأفق أية أراض جديدة ، فغمغم القبطان :

- عجباً ! الغريب قال : إننا سنبلغ الهدف بعد يوم واحد ، وها هو ذا اليوم قد انقضى ، ولست ألمح أرضاً جديدة .

أدار بصره فيما حوله ، وهتف بالمراقب ، الذي يعتلى الصاري الكبير :

- أبلغنى بأى شىء تراه .

أجابه المراقب :

- بالتأكيد يا قبطان .. بالتأكيد .

عاد القبطان يدير عينيه فيما حوله ، و ...

وفجأة ، التقطت أذناه ذلك الصوت العجيب ..

صوت منتظم ، رفيع ، حاد ، بدا وكأنه ينبعث من كابينة الغريب ، ويتواصل بارتفاع مطرد ، حتى احتل مسامع الجميع ، فهتف أحد البحارة في توتر بالغ :

- ما هذا بالضبط !؟

صاح به القبطان :

- اطرقوا باب كابينة الغريب .. هناك أمر ما يحدث فى الداخل حتماً .

اتجه البحار نحو الكابينة ، وهم بطرق بابها ، وذلك الصوت المنتظم يتصاعد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، وقبل أن يبلغ البحار الكابينة بـ متر واحد ، انفتح بابها فجأة وظهر الغريب على عتبتها ، وهو يحمل فى يده قرصاً من مادة عجيبة ، ينبعث منه ذلك الصوت المنتظم ، ويضئ منتصفه بضوء أحمر متقطع ..

واتسعت عيون الجميع ، وهم يتراجعون فى توتر بالغ ، محققين فى ذلك القرص ، فى يد الغريب ، الذى بدا وكأنه لا يشعر حتى بوجودهم ، وهو يتطلع إلى السماء ، وإلى السحب الكثيفة ، التى تخفيها تماماً ،

وكأما ينتظر شيئاً ما ، بكل شغف الدنيا ، فقال القبطان لأحد رجاله ، في
توتر بالغ :

- أيقظ الحكيم (هولان) .. أيقظه فوراً ..

اندفع الرجل لتنفيذ الأمر ، وتبعه القبطان ببصره لحظة ، قبل أن
ينتزعه أحد البحارة من أفكاره ، وهو يشير إلى السماء ، صارخاً
بانفعال جارف عنيف :

- انظر .. انظر يا قبطان .

وبحركة سريعة ، رفع القبطان عينيه ، إلى حيث يشير الرجل ..
ثم انتفض جسده ..

انتفض بعنف ..

بمنتهى العنف ..

٤ - الغريب ..

فرك (هولان) عينيه في قوة ، قبل أن يعاود التحديق ، في
ذهول تام ، في ذلك الجسم اللامع ، الذي استقر على ارتفاع متر
واحد من سطح الماء ، على مسافة أمتار قليلة من السفينة ، كطير
معدنى هائل ، امتد جناحاه إلى جانبيه ، وعلته قبة من الزجاج
السميك ..

وفي الجانب الآخر للسفينة ، اتسعت عيون البحارة ، وهم
يحدقون بدورهم في ذلك الجسم ، وأطرافهم ترتجف ذعراً
وارتياحاً ، وقبضاتهم يقول ، بكل توتر وانفعال الدنيا :

- لقد هبط من بين الغيوم أيها الحكيم .. كلنا رأيناه يخرقها
فجأة ، ثم يهبط نحونا مباشرة .. لقد حاولنا الابتعاد عنه ، إلا أنه
ظل يتبعنا أينما ذهبنا ، ثم لم يلبث الغريب أن أمرنا بالتوقف ،
وطلب منا ألا نخاف منه ..

هتف (هولان) :

- وما هذا الشيء بالضبط !؟

هزّ القبطان رأسه ، مجيباً في انفعال جارف :

- لست أدري .. حقاً لست أدري .

انتفض (هولان) فى قوة ، وكأنما ينفذ عن نفسه انفعالاته ،
قبل أن يتلفت حوله فى عصبية ، قائلاً :

- أين الغريب !؟

أشار القبطان بسبابة مرتجفة إلى كابينة الغريب ، مجيباً :

- هناك .

استدار (هولان) ، متجهاً إلى الكابينة ، فتابع القبطان متوتراً :

- كان يقف هنا ، ممسكاً بقرص لامع عجيب ، حتى استقر ذلك
الطائر المعدنى إلى جوارنا ، فعاد إلى كابينته .

ثم هتف فجأة فى حدة :

- إنه ساحر .. ساحر شيطانى رهيب .

عض (هولان) شفته السفلى فى توتر ، وهو يواصل طريقه
نحو الكابينة ، التى اقتحمها فى غلظة ، هاتفاً :

- ما الذى يحدث هنا بالضبط !؟

لم يكذ ينطقها ، حتى تجمد لعابه فى حلقه ، واتسعت عيناه عن
آخرهما ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يحدق
فى الغريب ، وفى هيئته الجديدة العجيبة ..

كان قد تخلى عن ثيابه ، وارتدى بدلاً منها ثوباً لامعاً ، يبدو

كأنه من قطعة واحدة ، وحمل كرة من الزجاج ، لها خلفية من
نفس مادة ثوبه اللامع ، وفى يده حقيبة صغيرة ، من مادة تشبه
مادة ذلك الإطار الذى كانت تتراقص على زجاجه الشياطين
الصغيرة ..

وفى ذهول مرتجف ، تساعل (هولان) :

- ما .. ما هذا بالضبط !؟

أجابه الغريب بابتسامة هادئة :

- هذا أنا أيها الحكيم .

جف حلق (هولان) ، وهو يسأله :

- أهذه .. أهذه ثياب السحرة !؟

اتسعت ابتسامة الغريب ، وهو يقول :

- لا يوجد أى سحر فى الأمر أيها الحكيم .. كل ما بهرك مجرد

علم .. علم سيبلغه قومك ذات يوم .. ليس فى حياتك أو حياة
أحفادك .. بل فى مستقبلكم .. هذا نتاج حتمى للتطور .

شعر (هولان) بساقيه ترتجفان ، وهو يبحث عن أى مقعد

يمكن أن يحتل جسده ، وهو يقول :

- علم .. أى علم هذا ، الذى يمكن أن يصنع هذه المعجزات !؟

هزّ الغريب رأسه ، قائلاً :

- ليست معجزات .. إنها تطورات طبيعية .. صدقتى .

جلس (هولان) على قطعة من الخشب ، وهو يتساعل ،
بصوت خنقه جفاف حلقه الشديد :

- وما ذلك الشيء فى الخارج ؟!

التقط الغريب نفساً عميقاً ، قبل أن يجيب :

- الهدف .

رفع (هولان) عينيه إليه ، وتمتم :

- الهدف ؟!

تطلّع الغريب إلى وجهه المجهد فى إشفاق ، ثم لم يلبث أن
جذب مقعداً ، وجلس أمامه ، قائلاً :

- اسمعنى جيداً يا (هولان) .. أنت رجل ذكى مخلص ، وتمتلك
عقلية قادرة على سبر الكثير من الأمور ، وعلى الرغم من ثقفى
بأنه من المستحيل ، على الرغم من كل هذا ، أن تستوعب
الحقيقة ، إلا أننى سأشرح لك كل شيء .

غمغم (هولان) فى صوت مبحوح :

- أنت من هناك .. أليس كذلك ؟!

ردّد الغريب فى حيرة :

- هناك ؟!

أشار (هولان) بيده ، إشارة غير ذات معنى ، وهو يقول ،
بصوت متحشرج ، من فرط الانفعال :

- من مستقبلنا ؟!

تراجع الغريب بحركة حادة ، وهو يحدّق فيه بمنتهى الدهشة ،
قبل أن ترسم على وجهه ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

- يا إلهى ! هذا الافتراض ، فى زمن كزمنك ، يكفى لوصفك
بالعبقرية يا رجل .. لم أكن أتصوّر أنه من الممكن ، بأى حال من
الأحوال ، أن تخطر الفكرة ببال أحدكم ، مهما جمح خياله ..

يا إلهى ! لست أصدّق هذا !

غمغم (هولان) :

- إذن أنت من هناك .

اتسعت ابتسامة الغريب أكثر وأكثر ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

- كلاً .. لست من مستقبلكم .

تراجع (هولان) هذه المرة ، وهو يقول :

- من أين أنت إذن ؟!

اعتدل الغريب ، قائلاً :

- أخبرتك أنني من بلاد بعيدة .. بعيدة للغاية .. بلاد تبعد أكثر بكثير مما تبعد تلك الغيوم ، التي لا تنقشع أبداً .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطرداً :

- الواقع أنني من كوكب آخر .

ردد (هولان) في دهشة حائرة :

- كوكب آخر؟! ماذا تعني بكوكب آخر!؟

تنهد الغريب في عمق ، وقال :

- لا يدهشني أنك تجهل ما أعنيه بكلمة كوكب هذه .. بل إنني واثق من أنه ليس لديكم عالم فلك واحد هنا .. بل وربما لن يكون لديكم أبداً .

ونفض من مقعده ، وهو يضيف في اهتمام :

- وعلى الرغم من هذا ، فسأشرح لك كل شيء ..

صمت لحظة ، وكأنما يرتب الأمر في ذهنه ، قبل أن يتابع :

- الواقع أن ما حدث لم يكن أمراً متوقعاً أبداً ؛ فعندما بدأت رحلتنا ، خارج مجموعتنا الشمسية ، كنا نبحث عن كواكب أخرى تضم مخلوقات عاقلة ، ولكن العجيب أن كوكبكم لم يكن ضمن الكواكب

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٣٥

المرشحة لوجود حياة عاقلة على سطحها .. ربما بسبب الغيوم الكثيفة ، التي تحيط به ، والتي منعنا طويلاً من رصدكم ، أو معرفة ما يدور عندكم .. ولكن عطلاً طارناً أصاب سفينتنا الأم ، بالقرب من هنا ، وبينما انهمك الزملاء في إصلاحه ، قررت أنا أن أستقل مركبة فضائية متنقلة ؛ لأخترق بها تلك الغيوم ، وأفحص كوكبكم ، الذي أخبرتنا مجساتنا الإلكترونيّة أن مساحته ، وجاذبيته ، ودرجات الحرارة على سطحه ، ونسبة الأكسجين في هوائه ، كلها تناسب حياتنا فيه ، وترجع وجود حياة ما . عليه ..

وتوقف ؛ لیسأل (هولان) في إشفاق :

- هل يمكنك استيعاب هذا!؟

هزّ (هولان) رأسه نفيًا في انبهار ، فابتسم الغريب ، ولكنه تابع ، وكأنما يحتاج إلى إفراغ ما ب صدره ، بأكثر مما يعنيه أن يفهمه الحكيم :

- ووفقاً للحسابات الإلكترونيّة ، لم تكن هناك سوى بقعة واحدة صالحة للهبوط على كوكبكم ، وهي هذه النقطة ، التي نحن فيها الآن ، نظراً لتوزيع الأقطاب العجيب هنا ، لذا فقد درت بمركبتي حول كوكبكم ، وغادرتها بوساطة صواريخ دفع منفردة ، هبطت بها في منطقتكم ، في حين واصلت المركبة دوراتها حولكم ، خارج نطاق الغيوم ، وكانت خطتي تعتمد على استكشاف حضارتكم ، التي تقلّ كثيراً عن حضارة كوكبي ، لفترة من الوقت ، بوساطة

ما أحمله معي من أجهزة ، ثم أستخدم صواريخ الدفع مرة أخرى ،
للصعود إلى حيث مدار مركبتى ، للعودة بها إلى السفينة الأم .

هزأ (هولان) رأسه فى قوة ، قائلاً :

لست أفهم حرفاً واحداً مما تقول .

عاد الغريب ببتسم ، وتابع وكأنما لا يعنيه الأمر :

- ثم واجهت حربكم الأخيرة ، مع أعداء مملكتكم ، ووقفت أرصد
ما يحدث ، حتى فوجئت بسهم طائش يخترق جهاز صواريخ الدفع ،
ويتلف وحدة التحكم فيه تماماً ، وكان معنى هذا أنه لم يعد باستطاعتى
العودة إلى مدار مركبتى ، وأنه قد يُحكم على بالبقاء فى كوكبكم
إلى الأبد ، ما لم أجد وسيلة لبلوغ هذه البقعة ، التى يمكن أن تهبط
فيها المركبة .

زفر (هولان) فى عصبية ، وقال :

- ما زلت عاجزاً عن استيعاب الأمر ، إلا أن باستطاعتى أن أفهم الآن ،
لماذا دفعتنا إلى القدوم إلى هنا ، ولكن ما يحيرنى بحق هو : كيف
أمكنك أن تتحدث لغتنا ، على الرغم من أنك من مكان آخر كما تقول !؟

تطلع إليه الغريب بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- الواقع أننى لا أتحدث لغتكم ، ولكن المترجم الآلى هو الذى

يفعل هذا .

هتف (هولان) فى ذهول :

- لماذا !؟

دفع الغريب سببائه فى أذنه ، والتقط من داخلها قرصاً صغيراً ،

وهو يقول :

- انظر .. هذا الشيء الصغير هو نوع من الكمبيوتر المتطور ،
مهمته أن يلتقط كل أحاديثكم ، وكل ما تتبادلونه من كلمات ، ثم
يقوم بتحليلها واستنباط العلاقات بينها ؛ ليصنع قاموساً خاصاً
بكم ، وبعدها ، وعندما أضعه فى أذنى ، فهو يترجم فوراً كل
ما تنطقون به ، إلى لغتى أنا ، أما لو نظرت إلى سقف حلقى ،
فستجد به شريحة إلكترونية صغيرة ، مهمتها أن تترجم كل
ما أنطق به إلى لغتكم أنتم .. لهذا كانت لكنتى تبدو لكم دوماً
عجيبة .

حدق (هولان) فى القرص ، الذى أعاده الغريب إلى أذنه ،

وهتف بكل دهشة الدنيا :

- أتعنى أن هذه الأشياء الصغيرة ، هى التى تتحدث لغتنا !؟

أوماً الغريب برأسه إيجاباً ، وقال :

- بالضبط .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى خفوت ، وبابتسامة حرجة :

- معذرة لأنتى خدعتكم ، ودفعتمكم للقدوم إلى هنا ، ولكن لم تكن أمامى أية وسيلة أخرى .. وسأعوضكم عن كل ما بذلتموه من أجلي .

سأله (هولان) :

- بماذا !؟

أشار الغريب بيده ، قائلاً :

- سأترك لكم كل هذه الأشياء ، التى تحويها جعبتى ، فيما عدا جهاز الرصد ، والكمبيوتر الدفترى ، فهما يحويان كل تفاصيل رحلتى على كوكبكم ، ولا يمكننى تركهما هنا .

ثم ابتسم ، مستطرداً :

- وللأسف ، لن يمكنكم الاستفادة مما سأتركه ، إلا على نحو محدود للغاية ؛ لأنه يفوق مداركم بكثير ، ولكننى أتخيل الذهول ، الذى سيصيب العلماء فى مستقبلكم ، عندما يعثرون على أشيائى ، وسط ما سيتركه زمنكم من آثار .. أراهن أن هذا سيصبح بالنسبة لهم لغزاً ، سيشتغلهم لفترة طويلة من الزمن .

حدق (هولان) فى جعبة الغريب ، قائلاً فى انبهار :

- هل ستترك كل هذا لنا !؟

غمغم الغريب مبتسماً :

- نعم .. كل هذا .. وأرجو أن تبلغ تحياتى إلى مولاك ، مع نصيحتى له بأن يضع كرة الضوء على قمة قصره .. هذا سيبهز شعبه لسنوات وسنوات ، وسيرهب أعداءه طويلاً .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

تمتم (هولان) :

- سأفعل .

اتسعت ابتسامة الغريب ، وربت على كتفه ، وهو يقول :

- صدقتى .. سأفتقدك كثيراً أيها الحكيم .

تنهد (هولان) ، قائلاً :

- وأنا أيضاً .. سأفتقدك كثيراً أيها الغريب .

وبدون كلمة إضافية ، وتحت سمع وبصر البحارة والقبطان ، غادر الاثنان الكابينة ، واتجها نحو حاجز السفينة ، المواجه للمركبة الفضائية ، التى تحلق فوق سطح الماء ، وضغط الغريب زرّاً فى جهازه ، فامتد لوح معدنى برّاق ، من جانب المركبة الفضائية ، إلى حاجز السفينة ، وارتفعت القبة الزجاجية فوقها ، لتفسح الطريق لقائدها ، فقال (هولان) ، والانبهار لم يفارقه بعد :

- صحيح أنك لم توصلنا إلى تلك الأرض الجديدة ، ولكننى واثق من أن روايات البحارة والقبطان ، عما حدث فى هذه الرحلة ، ستجعل منك أسطورة لا تتمحى ، فى مستقبل كوكبنا كله .

تنهد الغريب ، قائلاً :

- هذا أكثر مما حلمت به .

ثم التقط من حقيبته ورقة ، ناول قبطان السفينة إياها ، قائلاً :
 - هذه الخريطة ستساعدك على العودة إلى وطنك ، دون أن
 تعيق الجزر الغارقة رحلتك .. احتفظ بها ، فقد صنعها الكمبيوتر لمسارنا ،
 وستصبح جزءاً من تاريخ التطور البحري في كوكبك يوماً ما .

قال القبطان في دهشة مبهورة :

- صنعها ماذا !؟

ربّت الغريب على كتفه ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

- لا عليك .. احتفظ بها فحسب .

ثم صعد إلى اللوح البراق ، الذي يقوده إلى مركبته ، فسأله
 (هولان) ، قبل أن يتجه إليها :

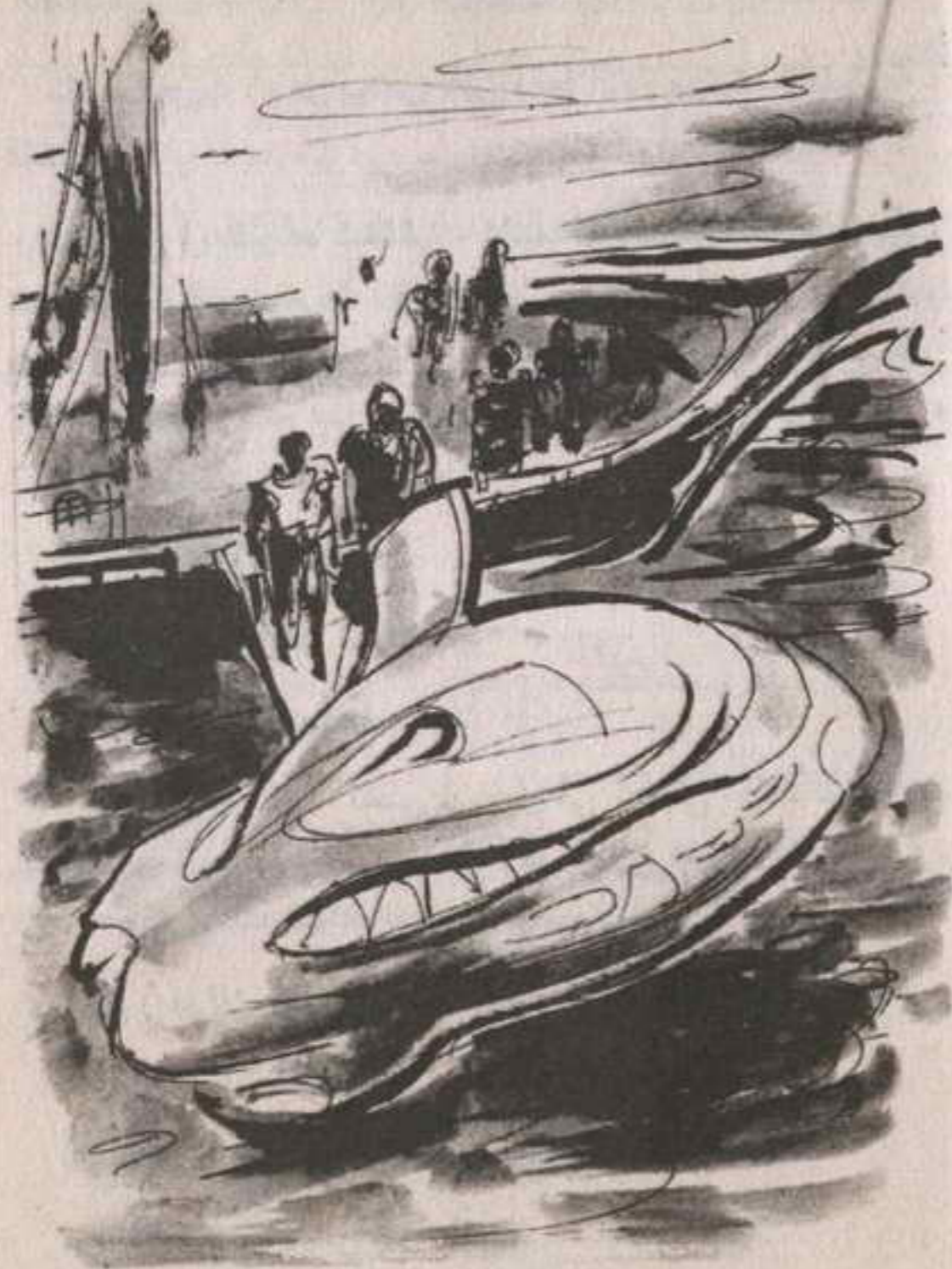
- ألا يمكنك أن تشبع فضولي ، بالإجابة عن بعض الأسئلة ،
 التي ما زالت تحيرني !؟

أجابه الغريب في هدوء ، وهو يسير نحو مركبته :

- بالتأكيد .. هات ما لديك .

قال (هولان) في لهفة :

- لقد فهمت لماذا تختلف ملامحك عن ملامحنا ، ولكن ما هذه
 النقطة السوداء على رأسك .. ليس لأحدنا مثلها هنا ..



ثم صعد إلى اللوح البراق ، الذي يقوده إلى مركبته ..

ضغط الغريب زر إغلاق القبة الزجاجية ، وهو يجيب ، بابتسامة
تتسع :

- اسمه كوكب الأرض .

ومع قوله ، ضغط أزرار مركبته الفضائية ، فارتفعت به عاليًا ،
ثم انطلقت بفرقة محدودة ؛ لتختفى خلف الغيوم ، التي تحيط بذلك
الكوكب دومًا ؛ ولتضع مشهد النهاية ، الذي لن ينمحي من ذاكرة
(هولان) والقبطان وبخارته قط ..

نهاية الرحلة ..

أو نهاية الأسطورة ..

أسطورة الغريب ، القادم من هناك ..

من كوكب الأرض ..

★ ★ ★

تمت بحمد الله

ابتسم الغريب ، وهو يجلس على مقعد قيادة مركبته الفضائية ،
قائلًا :

- الواقع أن أكثر ما أدهشني ، عندما هبطت على كوكبكم هذا ،
هو التشابه التشريحي المدهش بيننا ، باستثناء أن رعوسكم أكبر
حجمًا ، وعيونكم أكثر اتساعًا ، وربما يعود هذا إلى الغيوم الكثيفة ، التي
لا تنقشع عن كوكبكم أبدًا ، ثم إن رعوسكم تخلو تمامًا من الشعر ،
وربما للسبب نفسه أيضًا ..

قال (هولان) في دهشة :

- الشعر !؟ وما هذا الشعر !؟

أشار الغريب إلى رأسه ، قائلًا :

- ألياف رقيقة رفيعة ، تغطي الرعوس في كوكبي ، ولقد اضطرت
لحلقها تمامًا ، حتى لا أثير الدهشة أو الفزع هنا ، ولكنها تعاود
النمو ، وتترك تلك النقاط السوداء عند منابتها .

سأله (هولان) ، عندما رآه يستقر على مقعد القيادة :

- وما اسمك الحقيقي !؟

التقط الغريب نفسًا عميقًا ، وهو يجيب بابتسامة هادئة :

- (حسام) .. اسمي (حسام) .

هتف به :

- وما اسم ذلك الـ .. الكوكب ، الذي أتيت منه !؟

بقية من القصص
والروايات المصرية
قمة في التشويق والإثارة

روايات مصرية للحب
مكتبة
م

٢٠٠٣ / ٥ / ٢٦

صفحة

في هذا الكتاب

- المحتلون (قصة قصيرة) ٥
- مذكرات طبيب في صعيد مصر الجوانى :
- (الحلقة العاشرة) نقطة التحول ١٣
- دم واحد (نداء) ٢٧
- تجربة فيلادلفيا (دراسة) ٢٩
- ويأتى الغد (خواطر) ٦٥
- حبيبي (دراسة) :
- ٢- أول حب ٧١
- قصة العدد :**
- (الرحلة)
- عزيزى القارئ (١) ٨٣
- عزيزى القارئ (٢) ١٥٤

ح

الثمن في مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع
الكتاب

